مركز حضرموت
للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

1
أعلام

من أعلام ربابنة حضرموت

تأليف
محمد علوي عبدالرحمن باهارون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

مِنْ أَعْلَامِ

رِبَابِنَةِ حَضْرَمَوْتَ

ⓒ مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رقم الإيداع بالهيئة العامة للكتاب م/ حضرموت: 252/ 2020م

عنوان الكتاب: من أعلام ربابنة حضرموت

تأليف: محمد علوي عبدالرحمن باهارون

حجم الكتاب: 14 × 21 سم

الصفحات: 116 ص

الطبعة الأولى

1442هـ - 2020م

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع - مصر

هاتـف وواتس آب: 00201008170225

بريدً إلكتروني: daralwefaqnet@gmail.com

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

من أعلام حضرموت

تأليف:

محمد علوي عبدالرحمن باهارون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

تصدير

في إطار الأهداف العامة لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر التي من أبرزها توثيق ذاكرة حضرموت والتعريف بحضارتها حرصنا في المركز على تنويع نشاطاتنا وفعالياتنا العلمية، من ذلك أننا أولينا عناية خاصة بتوثيق حياة الشخصيات الحضرمية الفاعلة في مجتمعها وتتبع سيرالأعلام منهم. وعلى طريق إنجاز مشروع الموسوعة الحضرمية للتاريخ والبلدان والقبائل والأسر والأعلام والمهاجرين خصصنا ضمن كتاب مركز حضرموت سلسلة تعنى بمناقب هؤلاء الأفذاذ لتكون رافدا لهذه الموسوعة، وهذا الكتاب يعد بداية الانطلاق في هذه السلسلة وفي الواقع نحن أمام عمل شائك ومضن يستدعي أصحاب الهمم ممن لهم باع في الكتابة التاريخية وعشاق المعرفة عمومًا.

وصاحب هذا الكتاب من القلائل الذي ركزوا في أبحاثهم ودراساتهم المنشورة على الملاحة البحرية وربابنتها الذين شقوا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

البحار واخترقوا عباب المحيطات بخبراتهم التقليدية ومعارفهم المتوارثة وهو يعد امتدادا علميا لأستاذه المؤرخ عبد الرحمن عبدالكريم الملاحي (رحمه الله) ولعله من محاسن الصدف أن تكون باكورة هذه السلسلة في حضرة الربابنة والنواخيذ لتنطلق بعدهم على سفينة المعرفة بحثا عن مناقب الحضارمة في مشوار هذه السفينة الطويل والميمون بإذن الله نحو بر الأمان.

مركز حضرموت للدراسات
التاريخية والتوثيق والنشر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

مقدمة

للحضارمة تاريخ مجيد حافل بالبطولات والأمجاد في مجال الملاحة البحرية والأسفار التجارية في حوض المحيط الهندي، وتشهد لهم كتب التاريخ بصولات وجولات تصدوا فيها للحوادث والكوارث الطبيعية والبشرية، وقد برز منهم ربابنة أفذاذ تناقلت أخبارهم عبر الأجيال، وكان لهم دور متميز في قيادة السفن الشراعية والمخر بها بحنكة ودراية، وكتبوا في سبيل ذلك المؤلفات العلمية من منظوم ومنثور.

ونظرا لانقراض حرفة الملاحة البحرية الشراعية من حضرموت منذ ما يقرب من ربع قرن، وعدم معرفة الجيل الحاضر بجهود أولئك الأجداد قمنا بدافع شخصي في توثيق تراثنا البحري وحفظ حق أعلامه بدراسة حياة بعض أولئك الربابنة الاعلام بعد بحث مضنٍ عن آثارهم المخطوطة من مذكرات ورحمانيات ورزنامات، والمسموعة من قصص ومغامرات ومعارف ملاحية جديرة بالتوثيق والإبراز.

وفي هذه الدراسة بسطنا الحديث في تراجم مختصرة لعدد من أعلام ربابنة حضرموت الذين عاشوا في الفترة من مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي إلى القرن الحالي إحياءً لذكراهم وإبرازًا لمعارفهم الإنسانية ومغامراتهم الملاحية التي سطرها لهم التاريخ بأحرف من نور.

آملين أن نكون قد قمنا ببعض الواجب الذي يتحتم علينا تجاه أولئك الاسلاف .. والله ولي التوفيق.

المؤلف

الحامي/ ٢٨ أغسطس ٢٠٢٠م

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أولاً: الشيخ المعلم الحكم
سليمان بن أحمد المحمدي المهري الحضرمي

من أبرز ربابنة حضرموت شهرة وعلما الشيخ المعلم والملاح الحكم الربان سليمان بن أحمد بن سليمان المحمدي المهري، من قبيلة بني محمد المهرية التي سكنت مدينة الشحر، كما هو معروف في كتب التاريخ، وليس من فرقة المحمديين كما يعتقد بعض الباحثين، وكان أخوه سعيد بن أحمد بن سليمان المحمدي من قواد جيش السلطان بدر بن عبدالله الكثيري (أبو طويرق) عام ٩٤٢هـ.[1]

كان ميلاده حوالي عام ٨٨٠هـ في ميناء الشحر، الذي كان يزخر في تلك الفترة بالحياة العلمية والتجارية والملاحية، تتردد إليه السفن التجارية من شتى أصقاع العالم، ويفد إليه العلماء والفقهاء والقراء من تريم وزبيد وبغداد وغيرها، فلا غرو إذاً أن ينشأ الحكم سليمان المهري في تلك البيئة نشأة علمية صالحة.

ومن علماء الشحر في تلك الفترة العلامة القاضي عبدالله بن محمد بن عبسين (ت ٩٠٨هـ) أسس مدرسة علمية بقرب جامع الشحر وجلب لها من مدينة تريم العلامة الفقيه عبدالله بن عبدالرحمن بلحاج بافضل (ت ٩١٨هـ) ليدير التعليم بها، فلا يستبعد أن يكون المهري أحد التلاميذ المتخرجين في تلك المدرسة العلمية.

وبعد أن حصل على قسط وافر من العلوم الفقهية والعربية والفلكية وغيرها، التحق بالخدمة البحرية في إحدى السفن الشراعية مع أحد الملاحين من أبناء عمومته الذين نبغوا في فنون الملاحة، وبدأ يتدرب على المعارف البحرية العلمية والعملية حتى وصل إلى رتبة الربان المعلم، والحكم الذي يحتكم إليه الملاحون للبث في قضاياهم ونزاعاتهم.

لا يوجد لسليمان المهري ذكر في كتب التاريخ الحضرمي وخصوصًا تلك التي تحدثت عن تاريخ القرن العاشر الهجري، وهذا لا يعني أنه لم يكن موجودا؛ لأن تلك الكتب تركز حديثها في الغالب على الحوادث السياسية وبعض وفيات العلماء، ولم تلق بالمجال الملاحي

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وغيره من المجالات كالزراعة والتجارة، ولهذا يقول الأستاذ حسن صالح شهاب:" نشأ سليمان المهري في بيئة بحرية رجالها من بني محمد .. ولكن لا نعرف شيئا -للأسف- عن حياته عدا علمه ومؤلفاته، فهو لم يتحدث في مؤلفاته عن نفسه ويمتدحها كابن ماجد، بل إن المهري كان أوسع علما وثقافة من ابن ماجد، كما كان -بخلاف ابن ماجد- موضوعيًا في منهجه سليمًا في أسلوبه، يتحاشى الحشو والاسترسال في سرد أخبار لا تمت بصلة للموضوع الذي يتناوله. وخلو أسلوبه من الضعف والركاكة والكلمات العامية التي نجدها عند ابن ماجد، يدل على إلمامه بعلوم اللغة العربية وآدابها".[٢]

رحلاته البحرية ومؤلفاته:

قام الملاح المهري بالعشرات من الرحلات التجارية في حوض المحيط الهندي شرقًا وغربًا من شرق أفريقيا إلى بلاد الهند وموانئ جنوب شرق آسيا، على متن سفينته الشراعية، وسفن تجار البحر في تلك الفترة من آل باعبدالرحمن وبامعبد وبارامي وغيرهم. وقد وصف تلك الرحلات التجارية وفصلها في كتبه الملاحية القيمة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويُعد سليمان المهري من أساتذة الملاحة في شرقي المحيط الهندي، فالطرق البحرية التي يصفها في (العمدة) و(المنهاج) جميعها بين جزيرة العرب وشبه القارة الهندية، ثم ما بين ساحل الهند الغربي وسواحل خليج البنجال وجزره حتى سنغافورة، ولا يوجد بينهما طريق واحدة إلى شرقي إفريقيا، فيما بين رأس غردفوي جنوبا. وهذا ما يثير الاستغراب فرحلات بحارة المهرة وحضرموت كان أغلبها إلى السواحل أي سواحل شرق أفريقيا من مقديشو جنوبا، فلماذا شذ عنهم سليمان المهري؟ كما نجد رحلاته في البحر الأحمر تنتهي عند جدة على الساحل العربي وسواكن على الساحل الإفريقي. ونجد عنده وصفًا دقيقًا لجزره وشعابه الخطرة وطرق الملاحة بينها.[٣]

وهذا لا يعني أن سليمان المهري لم يسافر إلى شرق أفريقيا، فلعل رحلاته إليها كانت معدودة ؛ لأن معظم التبادل التجاري كان بين الهند وحضرموت وخصوصًا في القرن العاشر الهجري الذي اتسعت فيه وفود الهجرة الحضرمية إلى الهند، وكذلك لما كانت الرحلة إلى شرق إفريقيا سهلة ويسيرة ولا تحتاج إلى معلم، يستطيع

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أن يبحر إليها أي ناخوذة بحكم التجربة -بالنسبة لمعاصريه- لم يتوسع المهري في وصف إرشاداتها.

كتب سليمان المهري مجموعة من المؤلفات العلمية التي شرح فيها معارف الملاحة البحرية ومواسم الأسفار، وأنواع الرياح ومهابها، وغيرها من المعارف القيمة وهي كالتالي:

١. العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، وهو أول كتاب ألفه عام٩١٧هـ (١٥١١م)، وتوجد عليه حاشية للمعلم الشيخ يحيى الأهدل.

٢. المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر.

٣. تحفة الفحول في تمهيد الأصول، رسالة مختصرة في أصول علم البحر وقواعد الملاحة وشروطها.

٤. شرح تحفة الفحول في تمهيد الأصول.

٥. قلادة الشموس في استخراج الأسوس، وهي رسالة مختصرة شرح فيها طريقة استخراج التواريخ بمختلف السنين المشهورة وهي: القمرية والشمسية والنيروزية والرومية والقبطية والفارسية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد دلت مصنفاته على تفوقه في العلوم البحرية فهو أول من أطلق اسم علم البحر وعلوم البحار على الأبحاث والدراسات الملاحية، وأكد في كتابه العمدة المهرية بأن علم البحر يقوم على منطلقين، منطلق تجريبي والآخر نظري، عرفه بكلمة عقلي، وانتقد في كتابه حسابات من سبقه من الربابنة لحركة النجوم وقياس المسافات بينها، ووضع ضوابط لقياس هذه المسافات بالدرجات الهندسية بأن جعل مقدار المسافة بين كل نجم اتجاهي وآخر ١١,٢٥درجة. وظل هذا القياس معمولا به إلى اليوم عند ربابنة السفن الحديثة. وقد عاصر المعلم المهري الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة وتتلمذ على يديه ونبغ في علم الهيئة وقياسات أبعاد النجوم والمسافات بينها واجتهد في تحديد تلك الأبعاد بالدرجات الهندسية بعد أن كانت القياسات تحدد بالأصابع، ويعد الربان سليمان المهري الرائد الذي فتح آفاقا جديدة في علوم البحار وضحت أفكارها في كتابات الربابنة الحضارمة وغيرهم في القرون التي تلت القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.[1]

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

سليمان المهري وابن ماجد والاهتمام بهما:

شكل سليمان المهري مع زميله المعلم أحمد ابن ماجد ثنائياً رائعاً في علوم الملاحة العربية في المحيط الهندي، وكانا رائدين عظيمين في مجال الملاحة البحرية ومثالًا حيًا على ما للعرب من تفوق وريادة في مجال العلوم البحرية، وقد تهافت الغربيون على مصنفات الشيخين الجليلين وخدموها بالدراسة والتحليل والنشر وأحفادهم لم يعلموا عنها شيئًا!.

وقد ظلت تلك المؤلفات ما يقارب الأربعمائة عام مجهولة، ضمن مخطوطات مكتبة باريس الوطنية في مخطوط يحمل رقم (٢٥٥٩)، ويعود الفضل في إظهارها بعد الله تعالى للمستشرق جابريل فيرّان عام ١٩١٢م عندما اطلع عليها مع زميل له يدعى جود فراي ديمو مبيني في المكتبة القومية بباريس ثم قام بنشرها مصورة في مجلدين المجلد الأول يضم مؤلفات ابن ماجد نشره عام ١٩٢٣م والمجلد الثاني يضم مؤلفات سليمان المهري نشره عام ١٩٢٥م.[٥]

وقد قام قبله الأميرال التركي سيدي ريس بن حسين بترجمة مؤلفات ابن ماجد والمهري إلى اللغة التركية في مجلد واحد أسماه (المحيط) قال في مقدمته: (في عام ١٥٥٤م أقمت خمسة شهور في مدينة البصرة حيث بدأت الرياح الموسمية ثم أقلعت إلى الهند ، ودامت هذه الرحلة ثمانية شهور ولم أترك فيها فرصة تمر دون أن أشغل نفسي في الحديث بأمور الملاحة مع بحارة الساحل ، وكذلك جمعت الكتب التي ألفها البحارة المحدثون أمثال أحمد بن ماجد من جلفار (تعرف الآن برأس الخيمة) وسليمان المهري من أهالي الشحر من عرب الجنوب، مثل كتاب (الفوائد) وكتاب (الحاوية) لابن ماجد، ومثل كتاب (تحفة الفحول) وكتاب (المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر) وكتاب (قلادة الشموس) لسليمان المهري وتعمقت في دراستها كلها، إن الملاحة بدون هذه الكتب جد متعذرة ووجدت من اللازم نقلها إلى اللغة التركية في كتاب يكون دليلا للربابنة الذين تهمهم معرفة هذه الأمور، وقد انتهت ترجمتي لهذه الأسفار العربية بمعونة الله القدير جل شأنه، وقد حوى كتابي هذا أشياء مفيدة غريبة كثيرة تتعلق بالملاحة وسميته "المحيط").[٦]

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وفي العصر الحديث قام الدكتور إبراهيم خوري بتحقيق مؤلفات ابن ماجد والمهري، ونشرها مجمع اللغة العربية بدمشق عام ١٩٧٠م، كما اهتم بها غيره من الباحثين العرب والغرب، ولكن ابن ماجد كان أفضل حظا من المهري، فقد وجد من أبناء الخليج من يفخر بأعماله ويحتفل بذكراه ويكرمه بوصفه واحدًا من علماء العرب، وعقدت له الندوات التي ناقشت أعماله وجهوده في تطوير علم الملاحة وتهذيبه، ومنها (الندوة العلمية لإحياء تراث ابن ماجد) التي نظمها اتحاد كتاب وأدباء الإمارات في يناير ١٩٨٩م، بينما لا يجد المهري مثل هذا التكريم من أبناء بلاده بل إن أعماله لا تزال مجهولة للأسف لدى الجهات المسئولة عن العناية بالتراث اليمني بوجه عام، هكذا يحدثنا -بكل أسف- أستاذنا القدير حسن صالح شهاب -عليه رحمة الله-، في كتابه القيم (البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي) الذي يقع في ١١٩ صفحة من القطع الصغير، نشره عام ٢٠٠٠م تخليدا لذكراه ووفاء بحقه من التقدير، ناحتا الصخر في المصادر المتوافرة بين يديه

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ومنها مؤلفاته الملاحية القيمة، وكتبه أيضاً ليلفت انتباه الجهات المسئولة إلى جهود هذا العالم العربي الحضرمي في تطوير علم الملاحة عند قدماء البحارة العرب.

فيا ترى متى سنحتفل نحن الحضارمة بهذا العلم -وغيره من الأعلام- بنشر مؤلفاته وتحقيقها وعقد الندوات لمناقشتها أسوة بزميله ابن ماجد. أرجو أن يكون ذلك في القريب العاجل.

وقد اختلف الباحثون في عام ولادة ووفاة سليمان المهري وكذا زميله ابن ماجد، فيذهب الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف إلى أن ابن ماجد عاش زهاء قرن من الزمان فكانت ولادته عام ٨٣٨هـ ووفاته في رأس الخيمة عام ٩٣٨هـ على أوثق الروايات على حد قوله. ويذهب الأستاذ محمد ضياء شهاب إلى أن سليمان المهري توفى سنة ٩٦٢هـ، وهو الأقرب للصواب كما تدل عليه القرائن من الحوادث المسرودة.[٧]

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الهوامش:

١) العقد الثمين الفاخر في تاريخ القرن العاشر، عبدالله بن محمد باسنجلة (باسخلة) ص٥٣، تحقيق عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

٢) البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري ص٩، دار الشرعبي للطباعة بصنعاء، وفن الملاحة عند العرب، حسن شهاب، ص ٧١، ٧٢، دار العودة بيروت ١٩٨٢م.

٣) المرجع السابق ص ١٥، ١٦.

٤) الربابنة الحضارمة مساهمات ريادية في مجال الملاحة البحرية، عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، الكتاب التذكاري السنوي لجائزة الشيخ سالم سعيد باحمدان لرواد خدمة المجتمع في حضرموت ٢٠١٢، ص٦٢، ٦٣.

٥) العلاقات الحضارية بين حضرموت والإمارات العربية، محمد علوي باهارون، ص٦.

٦) الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع، محمد عبدالقادر بامطرف ص١٥، ١٦، مطبعة السلام عدن.

٧) الشهداء السبعة، محمد عبدالقادر بامطرف ص٩٥، المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى، علوي بن طاهر الحداد، تحقيق ضياء شهاب ص٧٥.

* * *

ثانياً: الشيخ المعلم سعيد بن سالم بن عبدالشيخ باطايع

يقول الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف في كتابه الشهداء السبعة: "إن أهالي مدينة الشحر رغم ولعهم بالملاحة البحرية لم يبرزوا -بعد الملّاح الحكم سليمان المهري- بروز أهل الحامي في الاهتداء بالنجوم في أعالي البحار. والملاحون من أهل الشحر الذين اشتهروا في العصور المتأخرة، كأمثال عبدالله محمد مدي ومحسن عبدالحبيب بوبك، إنما تلقوا تدريبهم النظري والعملي على أيدي ملاحين من أهل الحامي".

ومن أبرز الملاحين الذين أنجبتهم الحامي في مطلع القرن الثالث عشر الهجري -التاسع عشر الميلادي الربان الفلكي الشيخ سعيد بن سالم بن عبدالشيخ بن عوض باطايع، برز في الأوساط البحرية والملاحية بحضرموت ملاحاً قديراً ورباناً شهيراً يعد رائدًا من رواد علم الملاحة البحرية والفلكية بعد الشيخين الجليلين أحمد بن ماجد وسليمان المهري.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ميلاده ونشأته:

كان ميلاده في أجواء عام ١١٨٠هـ الموافق ١٧٦٦م ببلدة الحامي القديمة المعروفة اليوم بالبلاد الفوقية وانتسابه لتلك البلدة التاريخية العريقة، التي عرف عن أهلها تفوقهم في العلوم الملاحية وحب البحر والمغامرة، ويكفيه ذلك شهرةً وبروزًا.

وفي تلك البلدة المتواضعة عاش باطايع ودرج أيام الصبا مع شقيقه عوض بن سالم تحت كنف ورعاية والدهما الشيخ سالم بن عبدالشيخ أحد أعيان الحامي ونواخذتها وتجارها، وأمهما الشيخة فاطمة بنت عمر باوزير، منتقلا بين غياظها ومناهلها الوريفة وبحرها، تمنيه نفسه بأن يكون يوما ما أحد نواخذة البحر المشهورين بين الأهالي.

تعليمه ومشايخه:

بعد أن شب عن الطوق أدخله والده في أحد كتاتيب الحامي لقراءة القرآن الكريم وتعلم القراءة والكتابة، ومبادئ العلوم الشرعية، وفي زاوية العلامة محمد بن هارون جمل الليل بدأ الطفل باطايع يفتح

صفحة جديدة في حياته العلمية،فقد بدأ في قراءة القرآن نظراً وتجويداً، ثم شرع في قراءة المتون الفقهية والعربية كالرسالة الجامعة وأبي شجاع في الفقه، والآجرومية في علم النحو، وبعد وفاة شيخه المذكور تتلمذ على ابنيه الفقيهين عبدالرحمن وعمر أبناء محمد بن هارون،كما استفاد من إمام جامع الحامي وخطيبه السيد عبدالله بن إبراهيم مكنون وكذلك الشيخ الفاضل عمر باحميد وغيرهم من العلماء.

وظل الشيخ باطايع متردداً على المجالس الدينية والفقهية حتى بعد أن كبر حيث نلاحظه بعد عودته من رحلته البحرية من أوائل الحاضرين في المدرس الفقهي الذي يقيمه العلامة القاضي أحمد بن محمد باهارون، وربما أشار على الشيخ باطايع بكتابة بعض العرائض والوثائق الشرعية كما يشهد بذلك خطه وشهادته على العشرات من وثائق البيع والشراء بالحامي، وعلى العموم فقد استفاد من أولئك المشايخ في العديد من العلوم كالفقه والفلك واللغة وغيرها .

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

حياته العملية والاجتماعية:

بعد أن أخذ قسطه من التعليم اصطحبه والده معه في رحلاته الملاحية كما هو عادة أبناء الحامي إلى وقت قريب، وكان عمره آنذاك قد جاوز التاسعة تقريباً، فسافر مع والده في رتبة صغيّر درك إلى شرق إفريقيا وعمان والبصرة والهند وغيرها، وبدأ يتعلم على يد والده العلوم الملاحية والفلكية من معرفة النجوم في الديرة المعروفة في عصره بالحقة، والاسترشاد بالمعالم البرية والبحرية، وكان رحمه الله يتمتع بذكاء وفطنة قوية كما يذكر عنه، حتى وصل إلى رتبة أن ينبه قائد السفينة (السكوني) إذا غفل عن السير في المجرى المعروف.

وهكذا استمر باطايع يتلقى علومه الملاحية مضيفاً لها فيضاً من التجارب والخبرة حتى أظهرته الأيام ملاحاً بارزاً من بين أقرانه يشار إليه بالبنان ويعتمد على علومه وخبرته في هذا الشأن، وامتلك بعدها سفينة شراعية ظل مبحراً بها بين موانئ المحيط الهندي ملاحاً ومرشداً وتاجراً، فرحل إلى الخليج العربي والهند وموانئ شرق إفريقيا واليمن وغيرها من الموانئ عقوداً من الزمن حتى تقاعده عن هذه الخدمة ما بعد عام ١٢٦٤هـ.

كان الشيخ باطايع شخصية اجتماعية مرموقة من بين شخصيات الحامي عرفت بالعلم والصلاح والورع حتى وكلَّه الأهالي على أموالهم وجعلوه وصياً وناظراً على أوقافهم، كما وكله بعضهم ليحج عنه كما تحدثنا عن ذلك إحدى الوثائق المؤرخة عام ١٢٤٩هـ.

وممن وكله على أمواله وجعله وصياً على أوقافه المرأة المحسنة عائشة بنت محمد حبيشان وهي جدته لأبيه فقد جعلته ناظراً على أوقافها المتعددة لمساجد ساحل حضرموت في كل من الحامي والديس وثوبان وغيرها، وكان رحمه الله على جانب من الورع والاحتياط في ذلك حتى إنه قام بإعطاء مسجد ثوبان حوضًا من النخيل مقابل سبعة مكاييل من التمر أوقفتها عليه جدته المذكورة لفطور شهر رمضان.

وقد مارس الشيخ باطايع فن الخط وذلك فيما يبدو بعد تقاعده عن الخدمة البحرية والأسفار، وقد قام بكتابة العديد من المخطوطات الفقهية والفلكية واللغوية، فمما وقفنا عليه في بقايا مكتبة صديقه السيد محمد بن عبدالله باهارون المتوفى سنة ١٢٩٣هـ مخطوطتين في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

علم الفقه الأولى (زيتونة الألقاح في شرح منظومة ضوء المصباح في أحكام النكاح) للشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودان المتوفى في الخريبة بدوعن سنة ١٢٦٦هـ والثانية (رسالة في علم الفرائض) للعلّامة الشيخ عمر بن عبدالرحيم بارجاء الخطيب من علماء سيئون.

والجدير بالذكر أن الملاح باطايع امتلك مكتبة علمية عظيمة ضمت العديد من المخطوطات الفقهية واللغوية والملاحية والفلكية كانت موجودة إلى الستينيات الميلادية ثم أتلفت بعد ذلك أيام الحزب الاشتراكي وصارت أثرًا بعد عين.

مؤلفاته:

لم تترك لنا الأيام من مؤلفات باطايع إلا بقايا ولكنها تنطوي على خبايا علم الرجل ومن ذلك:

١ - منظومتان إرشاديتان في علوم الملاحة البحرية والفلك:

المنظومة الأولى: أبحر بها من ميناء سيحوت إلى جزيرة زنجبار بشرق أفريقيا عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) يقول فيها:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

سيحوت منها شمرنا بالعشي من بعد ما قد قضينا كل شي
والقبض في مطلع العقرب وفي من بعد ليله نوفي كل زام
نجم الحمارين اقبض فيه يوم وليلته بايبين لك رسوم
أوضاح بعد الثلاثة في النجوم سهيل مطلع قبض به واستقام

والمنظومة الثانية: أبحر بها من ميناء مسقط (مسكت) إلى ميناء المخا عام ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م) يقول فيها:

من يوم نُولِم وكل بحري تنسّم
قل للمقدم برّح حبال الصرية
من تحت صيرة الفلك قد جد سيره
ربه خبيره ينظره بالعين العنية

وقد اشتهرت هاتان المنظومتان بين الربابنة والنواخيذ في موانئ حضرموت والمهرة وعمان والكويت مسترشدين بها في رحلاتهم التجارية بين عمان واليمن وشرق أفريقيا، وتداولتها أيدي الباحثين اليمنيين والغربيين بالشرح والتحليل، وكان في طليعتهم الأستاذ المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف (ت١٩٨٨م) ويعود له الفضل بعد الله تعالى في إظهار الملاح باطايع ومنظومتيه وجعلها في متناول

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أيدي الباحثين بإصداره كتابه القيم (الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاح باطايع).

وتلاه الباحث البريطاني الدكتور روبرت سارجنت (ت: ١٩٩٢م) الذي قام عام ١٩٨٢م بإعداد دراسة مقارنة في منظومة الملاح باطايع من سيحوت إلى زنجبار بمساعدة الأستاذ بامطرف والنوخذة عوض مبارك بقرف الذي زوده بمخطوطة من تلك المنظومة وقدمها لجامعة كمبردج بلندن.

وجاء بعده الباحث الفرنسي ميشل نيتوه الذي أعد رسالة الدراسات المعمقة ما فوق الماجستير عام ١٩٩٥م من جامعة اكس إن برفانس بفرنسا بعنوان (منظومتا الشعر الملاحية للربان اليمني سعيد سالم باطايع).

ومنهم أستاذنا المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن عبدالكريم الملاحي في قراءته التاريخية (الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدة الربان باطايع) التي قدمها في الندوة الدولية (التبادل الحضاري العماني اليمني بجامعة السلطان قابوس) مسقط، فبراير ٢٠١٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد نحل أحد أصحاب الدفع المسبق منظومتي باطايع بعد أن حرّفها، وألحقها زورا وبهتانا بسبطه ابن حفيدته وابن ابن أخيه الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري البحّار سعيد بن سالم بن عوض بن سالم بن عبدالشيخ باطايع الذي كان يعمل بحارا في ضمن طاقم سفينة الجد النوخذة محمد بن عبدالرحمن باهارون في سنة ١٣٤٨هـ، كما تؤكده سجلات رحلاته البحرية المخطوطة لدينا، واسم أمه نور بنت أحمد ابن الربان سعيد بن سالم باطايع كما تؤكده وثيقة بيع نصيبه من أمه المذكورة لخاله النوخذة سالم بن أحمد بن سعيد باطايع سنة ١٣٠٨هـ، ظنا من الذين أغروه أن جدهم المذكور هو صاحب المنظومتين ولكن الواقع والعقل يكذبانه والفرق شاسع بين الرجلين كما تؤكده الأعوام المذكورة في هذه الدراسة، ولكنه الهوى يعمي ويصم. وأشد من ذلك أنه نحل له اسما آخر عندما نسبه إلى البرك الجد الوهمي وفصله عن أسرة جده لأمه الملاح الحقيقي سعيد بن سالم باطايع في سابقة عجيبة قائمة على الوهم والتدليس والتحريف والكذب والسطو على جهود من سبقه دون الإشارة إليها.. والله حسيبه وعند الله تجتمع الخصوم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

٢- منظومة رباعية ابتهالية ذكر فيها صلحاء وأعيان الحامي ربعها بقوله (يفرج الله من حالٍ إلى حال).

٣- رسالة في علم الفلك يتحدث فيها عن منازل القمر الثمانية والعشرين والبروج الاثني عشر، وقد تناول تلك المنازل بالوصف الدقيق مع التمثيل والرسم والاستشهاد بالأبيات الشعرية، لم نجده في غيرها من كتب الفلك الحضرمية كنصب الشرك للعمودي وغيره .

وفاته:

كتب الربان باطايع وصيتين عظيمتين في عامي ١٢٦٠هـ١٢٧٣هـ ضمنهما العديد من النصائح والإرشادات لابنه الوحيد أحمد بن سعيد وأبنائه وأمره بالدعاء له والتصدق عليه بما يستطيعونه، ووقف بعض النخيل فطوراً لشهر رمضان على مسجد الجامع بالحامي .

وبعد حياة حافلة بالعطاء قضاها في العلم والتعليم والإبحار على متن السفن الشراعية انتقل إلى رحمة الله أواخر سنة ١٢٧٣هـ الموافق ١٨٥٦م عن عمر ناهز الثالثة والتسعين عامًا رحمه الله تعالى.

للمزيد ينظر:

- الرفيق النافع على دروب منظومتي الملاّح باطايع، محمد عبدالقادر بامطرف، مطبعة السلام ١٩٧٢م
- الكشف عن جوانب من حياة الملاّح باطايع، محمد علوي عبدالرحمن باهارون، مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠١٢م، ودار الحامي ٢٠١٣م.

* * *

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ثالثاً: الربان العبقري الشيخ عوض بن أحمد بن عروة

إذا كان العلماء العرب قد وصفوا بالعبقرية والدهاء في مجالات متعددة كالطب والفلك والرياضيات وغيرها، فإن من عباقرة علم البحر من الربابنة العرب هذا الملاح القدير، الذي لم يعرف عنه إلا القليل وللأسف لضياع سجلاته.

ميلاده وتعليمه:

ولد سنة ١٢٥٠هـ وتوفى ١٣٣٣هـ في ميناء الحامي بحضرموت، وتلقى تعليمه الديني على يد جده المعلم الشيخ علي بن سعيد بن عروة وتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن الكريم ومبادئ العلوم الدينية في علوم الفقه والتوحيد والحديث، وحضر دروس مفتي الحامي السيد العلامة أحمد بن محمد باهارون إمام وخطيب الجامع واستفاد منه.

التحاقه بالخدمة البحرية:

ولما بلغ عمره حدود العاشرة من السنين اصطحبه معه والده على متن السفن الشراعية في رحلاتهم التجارية إلى مسقط والبصرة وزنجبار وكاليكوت وبومباي وغيرها. وبدأ يتدرب على الخدمة البحرية متدرجا في رتبها من صغير قرص ثم صغير درك ثم سكوني ثم صرنج ثم نوخذة ثم ربان معلم يقود السفن إلى شتى الموانئ على الدروب السليمة بكل حنكة ودهاء وأظهر قدرة فائقة في ذلك حتى استطاع في أواخر أيام عمره أن يقود السفن وهو كفيف البصر ويقرر البعد عن السواحل بتلون مياه البحر وبالثعابين التي تحوم حول السفينة ويحدد بعد السفينة عن قاع البحر بشم تربة ذلك المكان، وكان رحمه الله إذا هب نسيم على صفحة جبهته أدرك بحاسة سادسة ما إذا كانت هبوب رخاء أو نذير زوبعة عاتية، وذلك بخواص تنم على العبقرية والإلهام الإلهي، ومن حوادثه الشهيرة تلك الحادثة التي تناقلها عنه الشيوخ والتي برهنت قدرته الفائقة في علوم الملاحة البحرية، وقد تحدث عنها الأستاذ القدير المؤرخ

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

البحري حسن صالح شهاب في مقاله (من عجائب الملاحة البحرية في المحيط الهندي) وفي كتابه (أضواء من تاريخ اليمن البحري) نقلًا عن تلميذه الربان محمد عبدالله باعباد، وقد أهدى له كتابه القيم (فن الملاحة عند العرب) وقد سماه محمدا سهوا منه كما أخبرني بذلك.

من تصرفاته الغريبة:

وكان الربان ابن عروة واحدا ممن أحبوا البحر، وقضوا جل حياتهم فوق متنه، وحتى بعد أن فقد نعمة البصر عز عليه فراق البحر، فبقي حتى أرذل العمر يقود المراكب بنور بصيرته، وخبرته الطويلة في الملاحة. فكان يجلس غالبا بجوار مدير الدفة، ويعطي تعليماته للبحارة في طريقة تصريف المركب في الأحوال الجوية والبحرية المختلفة، كما كان يفعل تماما قبل أن يفقد البصر، وهو من أبرز البحارة العرب الجنوبيين الذين بقوا كسلفهم مهرة في تسيير مراكبهم في المجاري الخطرة، والخروج بها بسلام من الظروف والمواقف الحرجة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

يقول الأستاذ حسن شهاب: "أخبرني بعض من عمل معه من البحارة أنهم أرادوا، ذات مرة، أن يختبروا قدرته على معرفة المكان من رائحة قاع البحر المجاور له، فأخذوا شيئا من طين مرسى الحامي المجاور لمرسى الشحر من الشرق.وكان المركب يزمع السفر إلى البصرة؛ لجلب شحنة من التمر. وبعد سفر أحد عشر يوما، وصل المركب إلى مضيق مسندم، قريبا من جزر سلامة وبناتها، وهناك أمرهم ابن عروة أن يرموا البُلد، وهو مسبار الأعماق؛ ليعرف مما يحمله من رائحة طين قاع البحر، المكان الذي وصل إليه المركب. وقبل أن يرموا البُلد إلى البحر طلوه بعجينة الطين الذي جلبوه من الحامي، ثم قذفوا به إلى البحر، ولما رفعوه من قاع البحر ناولوه ابن عروة، فعركه براحة كفه، وراح يتشمم كفه، وعلامة الاستغراب بادية على وجهه، وكان من أرادوا اختباره من البحارة واقفين أمامه، ينتظرون نتيجة الاختبار. فسألهم ابن عروة عن عدد الأيام التي قطعها المركب بعد إقلاعه من الحامي، فلما أجابوه بأنها أحد عشر يومًا، صاح قائلًا: بعد سفر أحد عشر يوما والمركب ما يزال في مياه الحامي؟!

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

فضحكوا وأخبروه بما صنعوه، وأن رائحة المرجاس؛ أي البُلد كانت حقا من رائحة طين بحر الحامي، ثم قذفوا بالمرجاس إلى البحر مرة ثانية، بعد أن أزالوا ما علق به من طين الحامي، ولما رفعوه وفركه ابتسم قائلًا وهو يشم رائحة يده: الآن حقا نحن في مسندم هذه رائحته".

هذه واقعة من عشرات الوقائع التي تروى عن الربان ابن عروة مما جعل الباحثين يتتبعون أخباره وتصرفاته الغريبة ومنهم:

الشيخ بدر بن أحمد الكسادي الذي يقول في كتابه (أبطال منسيون من ربابنة الملاحة العربية) بعد سرد القصة السابقة " قد يقول قائل إن هذه قصة خرافية وقد لا يصدق بعض القراء مثل هذه المعجزة التي اتصف بها هذا الملاح وهي معرفته للجهات ومواقع البحر وموانئه بوساطة شم مياه البحر ورمالها وهو مكفوف البصر كما قلنا، ولكن تأكدت من صحة ذلك من بعض الأشخاص الذين عاصروه وكانوا يعملون معه بحّارة وهم الآن (١٩٧١م) في أواخر أيام حياتهم المديدة، ومنهم القبطان المعروف محمد عبدالله باعباد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

والقبطان سالم سالمين كعيتي، وقد شرح لي الشيء الكثير عن خبرات هذا الملاح، وفوق ذلك منجزات هذا الملاح مشاعة بين أرباب السفن من قباطنة وربابنة وبحارة إلى يومنا هذا يستشهدون بها ويضربون بها الأمثال في الخبرة الملاحية".

والأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف حيث يحدثنا في كتابه (الرفيق النافع): "وسمعت الكثير عن صفاته وتصرفاته من الربابنة الذين عاصروه، وقد أودعت ما سمعته عنه في كتاب (شخصيات لاتنسى) -فقد منه وللأسف- وذلك كله يدل على أن ابن عروة كان ملاحا متميزا بين معاصريه في جنوب اليمن بخواص تنم عن العبقرية".

وقد مدحه العديد من الشعراء منهم الشاعر عبدالله سعيد باعمرو من أهالي الديس وهو من الملاحين الذين سافروا برفقته (سنجار) بقوله:

ورميت بالسنجار خليته وسط بحر الخضر
وعبرت عاشروين حي ذاك الجبل حول القرون
ما قدرت فارق بو حمد دار السياسة والفكر
بن عروة المصيوت له فنين من فوق الفنون

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ربانتا والنوخذة له عرف في بحر وبر
يعجبك في ضبط المجاري في وسيعات الخنون
خاض البحور العالية ما بدا جحب والا انكسر
يقسم الديرة دقاري لا قد الحاجة دهون

معارفه وتلاميذه:

عرف الربان ابن عروة واشتهر بمعرفة الآتي وهو كفيف البصر:

١. طبيعة قاع البحر.
٢. الأسماك والحيوانات والطيور البحرية المميزة للمياه المختلفة.
٣. الطحالب والحشائش البحرية والبرية المميزة.
٤. لون ماء البحر في المناطق المختلفة.
٥. هبوب الرياح الطيبة والعواصف البحرية.

وقد تتلمذ عليه معظم الملاحين الحضارمة المتأخرين مستفيدين من خبراته فمنهم من سافر معه ومنهم من اصطحبه كمرشد وهو في حال شيخوخته ومن أبرزهم:

١. النوخذة محمد مبارك باشراحيل .

٢. النوخذة المعلم عمر عبيد باصالح .

٣. النوخذة شيخ محمد باعباد .

٤. النوخذة المعلم محمد عبدالله باعباد .

٥. النوخذة سالم سالمين كعيتي.

وقد أفردنا الحديث عن حياته في دراسة خاصة بعنوان (الربان عوض بن أحمد بن عروة والعلوم الملاحية عند العرب). صدرت عن دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث ٢٠١٥م.

* * *

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

رابعاً: الربّان الفلكي السيّد محمد بن عوض عيديد

ولد بميناء الحامي بحضرموت بتاريخ ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٢٨٢هـ الموافق ٦/ ٩/ ١٨٦٥م ونشأ بها تحت رعاية والديه الكريمين وتلقى تعليمه على والده العلامة عوض بن محمد عيديد وغيره من شيوخ الحامي في تلك الفترة ثم التحق بالخدمة البحرية صغيراً مع عمه النوخذة عبدالله محمد عيديد والنوخذة حسن بن علوي عيديد والنوخذة سالم بن حسين عيديد وبقية بني عمومته فقد كانت أسرته من الأسر المعروفة بامتهانها الملاحة البحرية وتملك سفنا شراعية، وبرز منهم عدد من النواخذة والتجار، وتدرج في وظائف السفينة حتى صار رباناً ومعلماً، ومع بساطة تعليمه إلا أنه شغوف بالإطلاع على كتب الأقدمين وسلفه من معالمة البحر، فاكتسب منها علماً غزيراً أضاف إليه فيضاً من خبراته وتجاربه بالمقارنات والملاحظات والمشاهدات.

ويشير الأستاذ الملاحي إلى أن للربان عيديد اجتهادات خاصة بحلول المنازل القمرية الغاربة تختلف عن حلولها عند الفلكي عبدالرحمن بن محمد المشهور المتعامل به بين المزارعين والصيادين في موانئ جنوب الجزيرة العربية.

وهو الربان المعلم المرشد ذو الذكاء الفطري ويحكى عنه مايدل على قدرته على التنبؤ بكوارث البحر ومتغيرات الأنواء قبل حلولها ومن ذلك ما حدث عنه تلميذه الربان سعيد محمد المقدي: أنه في ضحى أحد الأيام والسفينة تسير سيراً حسناً والهواء معتدل، صعد الربان عيديد إلى سطح مؤخرة السفينة على عجل مملوءاً بالقلق والخوف صادراً أمراً بإنزال الشراع سريعاً فامتثل البحارة لأمره طائعين والدهشة ترتسم على وجوههم، ولم يمض إلا وقت يسير حتى هبت ريح عاتية هطلت بعدها أمطار غزيرة استمرت لساعات، هدأ بعدها كل شيء وطاب الهواء، فأصدر أمره برفع الشراع ومتابعة الرحلة، وعندما سأله البحارة عن الكيفية التي عرف بها حدوث العاصفة رد بأني شعرت بضربات موج البحر على ظهر السفينة وقد

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

تغير وقعه، فعرفت أن متغيرات نوئية حادثة بالبحر وأن خطراً قادماً سيواجهنا، ولو أبقينا شراع السفينة منصوباً فان العاصفة ستمزق الشراع وتغرقنا.

ومما خلفه الربان عيديد في ميدان الملاحة البحرية مدونات بها يومياته، ونتائج قياساته للميل الشمسي، وتقويم بحلول المنازل القمرية وحلول أيام السنة البحرية النيروز، وله مرشدة بحرية في كراسة ضخمة كان ينوي تصنيف رحماني من إبداعه فقد رتب مواضيعه بنفس ترتيب أبواب الرحمانيات المعروفة في عصره، وتتكون مدونته، ثمان وستين ومائة صفحة من الحجم الكبير تضم جداول الميل والنود ودرجات الطول والعرض لمواقع الموانئ والمعالم البحرية ووصف الدروب البحرية بين موانئ المحيط الهندي والخليج والبحر الأحمر وخرائط مرسومة بيده للجزر الشهيرة كمالديف وسقطرى وكوريا وموريا، وبيان الرؤوس البحرية والمناتخ وقواعد رياضية لاستخراج النود ومعارف فلكية متفرقة وغيرها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد ترجم له المؤرخ المعروف الأستاذ محمد عبدالقادر بامطرف في كتابه المفقود "شخصيات لاتنسى" كما ذكره في كتابيه المطبوعين (الشهداء السبعة) و(الرفيق النافع في شرح منظومتي باطايع) والأستاذ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي في كتابه (ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان).

وقد تتلمذ على يديه جماعة من الربابنة من أبناء الحامي والديس والشحر منهم:

- عمر عبدالله مدي.
- عبدالرحيم عمر حوري.
- سعيد محمد المقدي.
- عمر حسين عيديد.
- عبدالله حسين عيديد.
- أحمد حسين عيديد.

وعاش الربّان محمد عوض عيديد بين ذويه وأبناء جنسه علماً بارزاً في العلوم البحرية والفلكية يرجع إليه في المهمات والاستفادة

من خبراته الواسعة التي أظهرت براعته وتفوقه في هذا المجال، وظل ملازماً الأسفار رباناً ومعلماً مرشداً في سفينته المعروفة بالكوكب واسمها فتح الباري، وفي سفن التاجر محمد عمر بازرعة وسفن التاجر أمان صلاح أمان في عدن، وغيرها من السفن التجارية التي تولى قيادتها حتى تقاعده عن الخدمة البحرية.

وكانت وفاته يوم السبت ٢٥ شهر ظفر سنة ١٣٥٨هـ الموافق ١٤ ابريل ١٩٣٩م.

وقد أفردنا ترجمته في دراسة خاصة بعنوان: (الربان الفلكي محمد بن عوض عيديد ومدونته البحرية) صدرت عن دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث ٢٠١٧م.

* * *

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

خامساً: النوخذة الربّان السيّد

عمر بن علوي بن حسن عيديد

شهد ميناء الحامي في القرن الثالث عشر الهجري نشاطًا ملاحيًا وتجاريًا واسعًا، وذلك في عهد حاكمه النقيب عبدالله بن سعيد الكسادي آخر أمراء آل كساد، وبوساطه تم تأمين الطرق وعقد الاتفاقيات مع قبائل الحموم لصالحه ولصالح صديقه السلطان عبدالله بن عمر القعيطي حاكم الشحر الذي بدأت يد نفوذه تسيطر على ميناء الشحر في تلك الفترة ثم امتدت إلى ميناء الحامي بعد أن غدر بصديقه الكسادي في مستهل القرن الهجري الماضي.

ميلاده ونشأته:

وفي تلك الفترة وبالتحديد في النصف الثاني من القرن الثالث عشر حدود ١٢٧٠هـ ولد السيد عمر بن علوي عيديد من أبوين كريمين والده السيد النوخذة علوي بن حسن وأمه الشريفة آمنة بنت عمر بن عبدالرحمن باهارون، ويبدو أنه أصغر أخويه حسن وأحمد.

ونشأ السيد عمر في تلك البيئة العلمية والملاحية كغيره من أبناء الحامي مع أخويه المذكورين على مكارم الأخلاق تحيطه رعاية والديه في مجتمع متآخ متعاون في الأفراح والأتراح.

تعليمه:

بعد أن شب السيد عمر عن الطوق أدخل أحد كتاتيب الحامي التي كان يدير التعليم بها المعلم الشيخ عمر بن محمد باشراحيل والشيخ المعلم سالم بن محمد بن عروة المتوفى سنة ١٣٢٤هـ. كما استفاد من جملة من الشيوخ من أبرزهم جده العلامة سعيد بن عبدالله بن عبدالرحمن باهارون المتوفى سنة ١٣١٣هـ، والسيد عوض بن محمد عيديد المتوفى سنة ١٢٩٣هـ والسيد سالم بن عبدالله باهارون المتوفى سنة ١٢٩١هـ.

شخصيته الاجتماعية:

يعد السيد عمر بن علوي من أبرز شخصيات الحامي خاصة وساحل حضرموت عامة في النصف الأول من القرن الرابع عشر

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الهجري، يسعى في الإصلاح بين الناس، ومساعدتهم بما يملك ويستطيع.

وكان أهالي الحامي يستعينون به في قضاء حاجاتهم، وسداد ديونهم، وتجهيز بناتهم وأبنائهم للزواج، وكان يقرضهم المبالغ النقدية والعينية من أقمشة وغيرها.

وكان السيد عمر بن علوي من التواضع بمكان فلم ير لنفسه أي فضل مع شهرته في موانئ حضرموت وعمان، فكان عندما يعود من رحلته التجارية، يساعد أهله في البيت، وكانت نساء الحافة تقمن بعملية سف الخوص أي ربطه بعضه ببعض، فإذا جاء السيد عمر يأتين بما عملنه من الخوص فيقوم بشريه أي يصنع منها الزنابيل المعروفة بالمصاني أو التفلة أوالمسارف. وهي الحرفة التي احترفها بعد تقاعده عن الخدمة البحرية في الخمس السنوات الأخيرة من عمره المديد يرتزق منها مضيفا إليها صناعة بعض أدوات الصيد كالشباك.

وكان بيته لا يخلي من التمر، الذي يجلبه من مسقط والبصرة، مع ما يأتي إليه من مزارعه المتعددة في الحامي والمقد وعرف والبرح

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وحقب وغيرها، ويقوم بتوزيع كميات كبيرة على الجيران والمحتاجين من أهل البلاد الذين يقصدونه عندما يسمعون بعودته من مسقط، فكان يكرم الجميع.

هكذا كان ديدن السيد عمر بن علوي حتى وفاته عام ١٣٥١هـ وقد لقبه الأهالي بصاحب التمر وصاحب الذهب واللول، وصاحب الإحسان والمبرات، وما زالت كثيرا من العجائز يذكرن فضله عليهن عندما كن صغارا، وليس لأهلن قوت إلا ما يجود به عليهم السيد عمر بن علوي رحمه الله تعالى.

حياته العملية الملاحية:

سافر السيد عمر مع والده النوخذة علوي بن حسن في رحلاته التجارية، وكان من كبار نواخذة وتجار الحامي في تلك الفترة يمتلك عددًا من السفن الشراعية الضخمة، وكان عمره في تلك الفترة جاوز العاشرة من السنين، وذهب معه إلى البصرة ومسقط وموانئ إفريقيا وموانئ اليمن، متدربا على حرفة الملاحة البحرية مترقيا في سلمها التراتبي من صغير قرص أو درك إلى أن وصل رتبة الناخوذة القبطان.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

اكتسب السيد عمر معارفًا جمة من علم البحر، عن والده ومن النواخذة الذين اصطحبهم أوعرفهم في بلدة الحامي المكتظة بهم في تلك الفترة، واكتسب مهارة عالية في مجالي الملاحة والتجارة البحريتين، عن كيفية تسيير السفينة، وكيفية التعامل مع الآخرين، أظهرته في قادم الأيام ملّاحًا وتاجرًا شهيرًا عرف بطيب تعامله وأخلاقه الكريمة بين الموانئ التي تردد عليها وبالتحديد في عمان وشرق إفريقيا.

وتولى قيادة العديد من السفن التجارية كربان لجماعة من تجار حضرموت مثل:

- ساعية آل الركن باعباد تولى قيادتها بين عامي ١٣١٧-١٣١٨هـ.
- غنجة خميس ناصر، من تجار المكلا، قادها ما بين عامي ١٣٢٠-١٣٢١هـ.
- سفينة باغويطة، وهي ملك التاجر محمد سعيد سالم باغويطة من تجار المكلا، تولى قيادتها في سنة ١٣٢٢هـ.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

- فلك العطاس وكان ناخوذها الشيخ عمر سعد بن الشيخ سعد الشحري، تولى قيادتها سنة ١٣٣١هـ.
- أم العقور، وهي ملك التاجر والنوخذة علي عبود حميد من كبار تجار الشحر.
- الجوهرة ملك آل أبو سبعة تجار المكلا، وكان نوخذتها ابن أخته السيد عمر بن علي الشاطري، في عام ١٣٤١هـ.

كما امتلك أيضا العديد من السفن التجارية كان يتردد عليها بين عمان وشرق افريقيا مثل الهاشمي والبقارة والزاهر والمتيسر وتيسير وغيرها.

أرشيفه التجاري الوثائقي:

ترك السيد عمر أرشيفًا تجاريا مخطوطًا يضم العشرات من الرسائل والكشوفات يكشف علاقاته التجارية مع تجار شتى موانئ المحيط الهندي ويوثق لتاريخ حقبة مهمة من الزمن في تاريخ جنوب الجزيرة العربية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وقد احتفظ أرشيفه الوثائقي بجملة من الرسائل والتذاكر والطلبات لجماعة من تجار وأهالي صلالة وريسوت ومرباط بإقليم ظفار التي قام السيد عمر بقضائها لهم في رحلته عام ١٣٣١هـ من أمثال:

١. ربيع بن محمد بن سالم بن رجب.
٢. الشيخ سالم بن أحمد بن محمد السيل.
٣. السيد حفيظ بن سالم الكاف.
٤. السيد عبدالله بن إبراهيم جد السيد يوسف بن علوي وزير الخارجية العماني.
٥. محمد بن سالم بن أحمد السيل.

ويعد السيد عمر بن علوي من أشهر نواخذة حضرموت المترددين على موانئ شرق إفريقيا الشهيرة عند الحضارمة بالسواحل كزنجبار ولامو ومباسا وكسمايوه وغيرها على متن سفينته الشراعية.

وكان يشحن سفينته بجملة من البضائع مثل الملح والسمك المجفف المعروف بالحنيذ واللخم، وكذلك التمر، ويقوم بالبيع

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

والشراء ويتزود من إفريقيا بالأخشاب والذرة الرفيعة المهيندي وغيره. وينقل البضائع منها إلى مسقط وظفار وحضرموت.

ويحدثنا أرشيفه التاريخي عن تلك الرحلات التجارية التي يغامر فيها بين عباب تلك الأمواج الكاسرة طلبا للقمة العيش، وربما صادفتهم إحدى العواصف العاتية كما هو الحال في رحلته التجارية إليها عام ١٣٢٨هـ التي خسر فيها سنبوقه الهاشمي، وغرقت معظم البضاعة التي فيه، وغالبها من أكياس حبوب الذرة، ثم سفينته الأخرى المعروفة بالبقارة غرقت على مشارف ميناء لامو محملة بالذرة والبضائع في عام ١٣٤٠هـ، ولكنه دائما يسلم الأمر لله.

كما تزامل السيد عمر بن علوي عيديد في رحلاته الملاحية التجارية التي امتدت على ما يزيد النصف قرن من الزمان مع العديد من النواخذة والتجار والسلاطين والأعيان في موانئ حضرموت وعدن واليمن والمهرة وغيرها، ويحدثنا أرشيفه عن جماعة من أولئك الأعيان الذين كان يتبادل معهم المنافع ويتراسل معهم بالرسائل الإخوانية حتى تقاعده عن الخدمة البحرية، من أمثال:

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

١. الشيخ محمد بن عمر بازرعة في عدن.

٢. الشيخ سعيد بن عمر بن مسلم في المكلا.

٣. الشيخ محمد بن سعيد باغويطه في المكلا.

٤. الشيخ صالح بن محمد بحول في المكلا.

٥. الشيخ علي بن عبود حميد في الشحر.

٦. السيد علي بن هارون بن عمر باهارون في أحور.

٧. السلطان الدولة عثمان الفضلي حاكم شقرة.

٨. السيد علي بن حسين بن عبدالله المحضار من تجار وأعيان لامو.

٩. الشيخ أحمد بن عمر بن سالم بن الشيخ سعد من أهالي الشحر في بندر مقديشوه.

وقد تحدثنا عن ذلك الأرشيف التاريخي في دراسة خاصة بعنوان (النوخذة عمر بن علوي عيديد وأثره في الملاحة والتجارة العربية في المحيط الهندي) يسّر اللهُ إتمامها.

* * *

سادساً: النوخذة الربّان مبارك بن عبيد مباركوت

مدينة الحامي سخية بإنجاب الربابنة الأفذاذ عبر تاريخها البحري المجيد الحافل بالبطولات والمغامرات البحرية .

ومن أولئك الربابنة الكرام الربان الناخوذة صاحب الكرم الباذخ والذكر الحسن مبارك بن عبيد مباركوت الذي سارت بذكره الركبان وانتشر خبره في شتى البلدان بإطلاقه عشرين مدفعا عند وصوله للمراسي البحرية، دون بقية أخوته من ربابنة السفن الحامية والحضرمية على وجه العموم، وذلك التخصيص تفرد به وحيدا من بين بقية نواخذة الموانئ التجارية في العالم.

ميلاده ونشأته:

على سفح ميناء الحامي ولد ونشأ وترعرع الفتى مبارك عبيد في مستهل القرن الرابع عشر الهجري، متطلعًا بأن يكون في يوم ما قائدًا لإحدى تلك السفن الراسية في الميناء القابعة أمام بيتهم، فكلما انتبه من النوم اكتحلت عيناه برؤيتها وراودته تلك الأمنية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

بعد أن شب الغلام مباركوت وأخذ قسطًا من العلم بتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الأمور الفقهية، امتطى إحدى السفن في رتبة صغيِّر قرص أو درك وتدرج في تلك الرتب البحرية حتى وصل إلى رتبة الناخوذة، فحينها شد عن ساعد الجد وابتنى له سفينة سماها بـ(أنيسة)، كما امتلك سفنًا أخرى تسمى (جعران) و(العز)، وصار يتنقل عليها بين الموانئ التجارية ملاحا وتاجرا متمتعا بخصال حميدة ومهارات عالية وإمكانيات نادرة لكسب الصداقات وتكوين العلاقات وجذب القلوب، وقد شاركه في رحلاته التجارية أيضًا أخوه منصور عبيد مباركوت الذي امتلك سفنًا شراعية منها (السهالة) و (اليسر).

علاقته بحكام حضرموت وعمان واليمن:

ارتبط الربّان مباركوت بعلاقات مع العديد من الحكام والسلاطين وكون معهم صداقات أخوية حميمة تقوم على الاحترام المتبادل بينهم والتبادل التجاري، واكتسب تقديرهم ومحبتهم له، ومن أولئك الحكام سلاطين حضرموت ومنهم السلطان غالب بن عوض وأخوه

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

السلطان عمر بن عوض القعيطي، وإمام اليمن الإمام يحيى بن حميد الدين، وسلاطين عُمان فقد توثقت علاقته بهم، وما تلك الوثيقة الخطية المحررة عام ١٣٤٥هـ التي يحتفظ بها أحفاده اليوم من أحد سلاطين عمان وهو السلطان تيمور بن فيصل جاء فيها: "يسمح له بالمرور في أي بندر من البنادر العمانية من صوقرة إلى مصيرة وله الإذن في البيع والشراء والمسير والمجيء، وله الإذن والإباحة في طلق المدفع كما هو يعتاد في ساير البلدان، وله أن يرمي من المدفع إلى عشرين مدفع عند وصوله مع المرسى والإقلاع، ولا عليه حرج لأنه من أعز الأصحاب والأصدقاء وكل من يشاهده ويتفق به في هذه الأماكن أن يكرمه ويساعده والقيام به المقام التام".

وما ذلك إلا دليل على عمق تلك العلاقة الحميمة، ويذكر الرواة عنه ممن أدركه أنه كان يتاجر بين الهند والبصرة على سفينته الأنيسة، ويجلب عليها المستلزمات الغذائية والعسكرية كافة لسلطان مسقط تيمور بن فيصل ثم ابنه سعيد بن تيمور الذي توثقت علاقته به وجعله كأحد إخوانه المقربين منه، حتى لا يسمح لأحد من الربابنة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

أن يبيت في البر دونه، وقد كان يحتفظ أحفاده إلى وقت قريب بالعديد من الرسائل التي يرسلها السلطان سعيد بن تيمور إلى أخيه ورفيق دربه مبارك عبيد مباركوت، ولكن للأسف طمست وأحرقت مع أرشيفه التجاري والملاحي.

ويقول ابن أخيه عوض سالم مباركوت في مقابلة أجراها معه صلاح مباركوت أن عمه أصابه في آخر عمره مرض نفسي بسبب أنه في إحدى سفراته إلى الحامي أصابت سفينته ضربة بحرية رموا فيها جميع ما على السفينة من مال إلى البحر حتى نجوا بأنفسهم فعند ذلك انعزل عن الناس حتى كانت نهايته المؤسفة، ولما علم به السلطان سعيد بن تيمور أمر بصناعة سفينة وجهزها بمستلزماتها كافة، وأرسل برسالة مع اثنين من البحارة العمانيين إلى الربّان مباركوت يطلبه أن يحضر إليه لاستلام تلك السفينة ولكن فاته الأوان فقد أصبح الربّان مباركوت في حالة يرثى لها، فقد خانه الأمل وغدر به الزمان الذي من طبيعته الغدر، ومكثت تلك السفينة على ساحل ميناء مسقط فترة من الزمن، وعندما ذهب ابن أخيه المذكور إلى

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

مسقط مع النوخذة سالم عبدالله حبيشان أخبره النوخذة حبيشان المذكور أن هذه السفينة الراسية (الجاحبة) صنعت لعمك مبارك عبيد ولكنه لم يتمكن من الوصول إليها وقدر الله وما شاء فعل.

كان الربّان مباركوت شخصية اجتماعية وتجارية ليس في بلاده الحامي فحسب بل في حضرموت وفي سائر موانئ اليمن وعمان، ويحثنا عنه محفوظ باعامر: أنه عندما يصل إلى الحامي يبدأ بضرب المدافع من رأس شرمه، وعندما يصل إلى المكلا يقسِّم في مينائها بكلتا يديه لما عرف من كرمه الفياض رحمه الله. وكان بيته بالحامي مقصدا للضيوف الوافدون إليه، وديوانيته كانت معمورة بجلسات الأنس والصفاء، حتى كتب فوق باب داره البيت الشهير:

ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان

ولكن الزمان، كما هي عادته، غدر بمباركوت فقد غرقت سفينته الأنيسة عند عودته من رحلته التجارية إلى عمان وتلف جميع ما فيها من مال ولم ينج إلا الركاب، فساءت حالته وهجره أصحابه ومات في حالة مشئومة في حوالي عام ١٩٤٠م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وقد جاء ذكر البيت السابق في كتاب (المستطرف في كل فن مستظرف) للابشيهي جاء فيه: " قال مالك بن دينار مررت بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن:

(ألا يا دار لا يدخلك حزن ولا يغدر بصاحبك الزمان)

(فنعم الدار تأوي كل ضيف إذا ما ضاق بالضيف المكان)

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فسألتها عما كنت رأيت وسمعت فقالت يا عبدالله إن الله يغير ولا يتغير والموت غالب كل مخلوق، قد والله دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان.

مباركوت وثناء الشعراء:

وقد مدحه العديد من الشعراء لكرمه الفياض وما له من الوجاهة عند الملوك، بل كان ينقل السلاطين على سفينته الأنيسة المزخرفة والمزركشة بالأعلام، وقد وقفنا عند أحفاده على قصيدتين في مدحه لشاعرين مجهولين وللأسف إذ لم يكتب أسميهما عليهما، والأقرب أنهما من ميناء الحديدة، وذلك أنه نقل سلطان حضرموت السلطان عمر بن عوض القعيطي (ت ١٣٥٤هـ) في رحلته إلى الحديدة عام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

١٣٤٨هـ في زيارة ودية للإمام يحيى بن حميد الدين، ولما وصل إليها أشاد به الشعراء في قصائد عصماء سجلوا فيها مكانته الاجتماعية والملاحية عند الحكام والمحكومين، قال أحدهم مرحبا به وبالسلطان القعيطي راجيًا وصوله بالسلامة إلى بلاده الحامي وإلى زوجته الثانية بميناء المكلا في قصيدة عامية غير مستقيمة الوزن نوردها برمتها:

أهلا وسهلا بمبارك ودولته ... بيت المعزة ورفيع نسبته
أعني مبارك ذا حميد طلعته ... مذكور في كل الورى بشهرته
نال المعزة بمد يد يمنته ... الله يبقيه ويعلي كلمته
ويديم إقباله بحسب أمنيته ... ويقيم حظه على الأنام ببغيته
والله يمنحه بموجب نيته ... ويرجع إلى الحامي بكامل سلامته
وأرجو وصوله للمكلا ونظرته ... إلى ساكن الأحشاء ذي في سريرته
حمامة لطيفة يا لها من حمامته ... وشبيه غزلان البراري وقفرته
وهو قد وصلنا زائرا في سفينته ... أنيسة حبيب في البحار كدرّته
تشبه في السير خيول في مبرته ... أرجو له الإقبال ثم نصرته
فهذا مبارك عندي فرض مودته ... وكل من جلس عنده طبع محبته
فالله يكفي كل حاسد بخيبته ... وقلت كلمات لوقت زيارته
وبالعجلة هذا المقال وسيرته ... وهذا جواب عين حق حقيقته
ثم الصلاة على النبي وعترته ... عد ما مشت هذه السفينة أنيسته

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20100817022

كما مدحه شاعر آخر بقصيدة فصيحة عصماء لقبه فيها بـ(النجيب) ونوه فيها بوصوله إلى ميناء الحديدة برفقة سلطان المكلا القعيطي، وأشاد فيها بسفينته وطاقمها وبعلاقته مع الحكام والملوك وبكرمه الفياض قال فيها:

بإسم الواحد الفرد المجيب ... جرت في البحر ساعية النجيب
فمن مالٍ حلالٍ قد صنعها ... وسماها مأنسة الحبيب
وأملى بطنها كسباً حلالاً ... ونال ببيعها أوفى نصيب
وزيّنها برايات المعالي ... وأتحفها لتسلية الغريب
رست في بحر أسكلة الحديدة ... وأطلقت المدافع من قريب
وذلك للإمام الشهم يحيى ... سلام الوصل في البلد الرحيب
يخص أنجاله الأقمار منهم ... سيوف النصر والفتح القريب
فيا لله من فُلك سعيد ... بمرسى السعد فاق على الكتيب
سمت فخرا بسلطان المكلا ... وحازت من لدنه كل طيب
ومن أنفاسه طابت وزانت ... وطاب بطيبها قلب الكئيب
وفاق على نواخذها المبارك ... فيا لله من فطن لبيب
وأتباعا له فيها تجدهم ... رجال البحر في الحال الصعيب
له عند الملوك مقام عز ... وتشريف مع الأمر العجيب
وما من دولة في الأرض إلا ... وقد شهدت بفخر للنجيب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

كذا رؤسا العرب تشهد جميعا ... بأن مباركوت حمى القريب
فهيئ للضيافة دار جود ... وإكرام بلا شك وريب
وأما داره المشهور حقا ... سما فخرا بأنفاس اللبيب
سمت قدرا محاسنه الغوالي ... بأشكال الغرائب للعجيب
إذا ما جاءه يوما سقيم ... يطيب بيومه دون الطبيب
فسل من شئت عن هذا وإلا ... توجه كي ترى قول الأديب
طيور الجو قد حنت إليه ... لما فيه من الروض الرطيب
سلوا عن ذا الهمام وعن علاه ... حقيقا فهو كالأسد المنيب
تقلّ صارما بعلو مجد ... وطاب اسم المبارك والنقيب
فكم من قاصد يأتي إليه ... يريد الخير في حالٍ تعيب
يقابله ببشرى وابتسام ... مقابلة الملوك مع الغريب
ويرجع قائلاً حمداً وشكراً ... بفضل الله قد زال الذي بي
ومن بعد الضيافة يعط ما قد ... تمنى بل ينل أوفى نصيب
سألت الله يبقيه كريماً ... لديه ومن دعاه فلا يخيب
ونرجو الله يحميها دواماً ... من الأخطار في البحر المهيب
وصلى الله على احمد ما تغنت ... مطوقةٌ على الغصن الرطيب
وآلٍ ثم أصحابٍ كرامٍ ... وما طاب القريض مع النسيب

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للمزيد ينظر:

- ملامح من التداخل المعرفي بين ربابنة اليمن وعمان، للأستاذ عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، وزارة التراث والثقافة -سلطنة عمان، ٢٠٠٦م.
- العلاقة الحضرمية العمانية "مدينة الحامي نموذجاً"، محمد علوي باهارون، من أبحاث ندوة التبادل الحضاري العماني اليمني فبراير ٢٠١٠م بجامعة السلطان قابوس - مسقط.

سابعاً: الناخوذتان سالم حبيشان وسالم بالليل

• أولاً: النوخذة سالم بن عبدالله حبيشان:

من أشهر نواخذة حضرموت في منتصف القرن العشرين ولد ونشأ في ميناء الحامي، عرف بتردده على موانئ الخليج العربي بنقل البضائع والركاب وخصوصاً موانئ الإمارات والكويت وقد اشترى منها سفينة من نوع البوم أسماه (اليسر) بعد ذلك، وظل مُبحِراً عليه في رحلاته التجارية التي شملت موانئ دبي والفجيرة ينقل إليها البضائع من بهارات وبخور وصيفة (زيت سمك السردين) ونورة (الجير الأبيض المستخدم لطلاء البيوت والسفن) وغيرها والركاب أحياناً، ويمكث في ميناء دبي عدة أيام ثم يتوجه إلى البصرة ويشحن سفينته بالتمر، وقد يعرج في بعض الأحيان عند عودته على ميناء دبي ويُنزِلُ بعضَ شحنة التمر التابعة لأحد وكلاء التجار الحضارمة الموجودين هناك.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وفي إحدى السنوات في رحلته إلى دبي غاب عن البحارة عدة أيام لا يدرون أين ذهب ثم بعد ذلك جاء وأخبرهم أنه ذهب إلى الفجيرة وتزوج بها عند أسرة آل محيشي، وقام باصطحاب زوجته معه على السفينة إلى الحامي ومعها أخوها سالم وابن عمها أخذهما معه عاملَيْنِ على ظهر السفينة وبعد عدة سنوات قضاها مع زوجته الفجيرية فارقها ولم ينجب منها.

ويحدثنا عبدالله محمد مكنون (٧٢عاماً) في مقابلة شخصية معه، عن رحلته مع النوخذة سالم حبيشان إلى الكويت عام ١٩٥٦م وكان برفقته على ظهر السفينة أربعون شخصاً، وقد أبحر بهم من الحامي إلى الفجيرة، ثم نزلوا بها وذهبوا إلى الشيخ سالم بن حيدر أحد التجار الحضارمة لينقلهم في سيارته إلى دبي، ومكثوا في دبي حوالي شهرين، وكانت دبي ما تزال بلدة صغيرة على ضفاف الخليج لا يوجد بها سوى بعض المَحالّ التجارية والسفن الراسية والمترددة عليها بين الحين والآخر، وسكنوا في أحد بيوت دبي وهو مَبنيٍّ من غرفتين، والأجرة روبية واحدة على الشخص سواء جلس يوماً أو

شهراً، وبقوا في ميناء دبي حتى استخرج لهم النوخذة حبيشان جوازات السفر وكانت جوازات عمانية، ثم نقلهم إلى سفينة زميله النوخذة محمد بن سيفان لينقلهم إلى الكويت.

- **ثانيًا: النوخذة سالم بن عوض بالليل:**

هو أحد نواخذة حضرموت المعروفين برحلاتهم التجارية إلى موانئ الخليج العربي والبصرة، ولد ونشأ في ميناء الشحر، ثم التحق بالخدمة البحرية متدرجًا في رتبها المعروفة حتى وصل رتبة الناخوذة، وكان يعمل على سفن التاجر عبدالرحمن محمد بازرعة يتنقل عليها بين وكالاته المنتشرة في موانئ إفريقيا والخليج العربي؛ ومنها وكالته التجارية في ميناء دبي التي يديرها أحد سكان دبي ويسمى فكري.

ويحدثنا النوخذة أحمد سعيد باهيال في مذكراته لعام ١٩٥١م عن مرافقه النوخذة سالم بالليل له في سفينة بازرعة المسماة "حصن الفرج" وهو في سفينة أحمد سليمان البسام المسماة "المنتصر" في إحدى رحلاتهم إلى الخليج العربي (مسقط والبصرة) وهي آخر رحلة للنوخذة بالليل، وكانت سفينتا بازرعة والبسام شاحنتين

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بالبضائع مثل الذرة والجير الأبيض، والأرز والليمون اليابس لنقله إلى ميناءَيْ مسقط ودبي، وتحركوا معاً من عدن إلى المكلا والشحر، وأكملوا بقية الشحنة للسفينتين، ومن الحامي أبحروا على طريق الرفقة المعروفة عند البحارة بـ(السنجرة)، ولما أشرفوا على رأس فرتك العلم البحري الشهير تغيَّرَ الجوُّ عليهم وهبَّتْ عاصفة ترابية من البر وهطلت في أثرها الأمطار وهاجت الأمواج مُشَكِّلةً عاصفةً بحرية، وهي ظاهرة جوية تعرف عند الملاحين بطوفان الحيمر أو الأحيمر فشتت بسفنهم وغاب النوخذة بالليل عن الرفقة، وخرج النوخذة باهيال مع رفاقه إلى ميناء ريسوت بظفار بعد أن ساعدهم بحَّارة ريسوت وأدركوهم بالنجدة، وكان مع النوخذة باهيال في سفينته سيارتان للسلطان سعيد بن تيمور، وفي ظفار التقى بالسلطان سعيد وأخبره بماجرى لهم من تلك الضربة البحرية، وأن رفيقهم بالليل افترق عنهم ولم يجدوا له أثراً، فقاطعه السلطان سعيد قائلاً له: جاءتنا برقية تقول إن سفينة جنحت إلى ميناء مرباط والنوخذة فيها يسمى بالليل وقد انكسر عليهم سكان (دفة) تلك السفينة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وهم بخير، ثم تحرك باهيال إلى مرباط ونقل النوخذة بالليل إلى مسقط وفي مسقط أدخل النوخذة بالليل إلى المستشفى، واستأجر لسفينة بازرعة رباناً عمانياً من أهالي صور يقودها إلى ميناء دبي ويسلم حمولتها للوكيل بازرعة، ومن العجيب أن شحنة السفينة جميعها فقدت بسبب العاصفة ما عدا حمولة دبي التي كانت في أسفل السفينة، وعند عودة السفن من البصرة إلى مسقط وجدوا النوخذة بالليل مُتوفىً إلى رحمة الله بسبب مرض أَلَمَّ به وهو انتفاخ رئته.

للمزيد ينظر: محمد باهارون:

١. صفحات من حياة الربانين محمد عبدالله باعباد وأحمد سعيد باهيال.

٢. العلاقات الحضرمية الكويتية "الحامي نموذجا".

٣. العلاقات الحضارية بين حضرموت والإمارات العربية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

ثامنًا: الربّان المعلّم الشيخ محمد بن عبدالله باعباد

في مطلع القرن الرابع عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي وبالتحديد عام (١٣٠٤هـ"١٨٨٦م") ظهر نجم من نجوم الملاحة البحرية والفلكية بالحامي وهو الربان الفلكي المعمر الشيخ محمد بن عبدالله بن سالم باعباد عرف في الأوساط الملاحية بخبرته العلمية والعملية في علوم الملاحة البحرية والفلك والقياس التي تلقاها على مشايخه المتقدمين.

نشأ بالحامي تحت رعاية والده وجده النوخذة في بيئة بحرية ولما شب عن الطوق التحق بالخدمة البحرية مع خاله الربان عمر مبارك باشراحيل والربان عوض أحمد بن عروة متتلمذاً على يديهما حتى تخرج بهما ثم سافر مع الربان سالم أحمد باصالح وقد أظهر نبوغًا باهرًا عندما أنقذ السفينة وطاقمها من كارثة كانت ستؤدي بحياتهم

عندما أخطأ النوخذة طريق ميناء ممبي فقام بالمهمة بعد أن هدد البحارة ربانهم بأن يتبع الفتى باعباد، ومنذ ذلك اليوم ظهر نجمه وسطع في سماء حضرموت.

وقد تدرب على يديه العديد من ربابنة الحامي والشحر والديس من أبرزهم:

- صديقه الربان أحمد سعيد باهيال.
- ابنه الربان أحمد محمد باعباد.
- النوخذة سعيد عمر حوري.
- الربان عبود محمد باخبازي.

وسافر إلى شتى الموانئ البحرية في أفريقيا والهند واليمن والخليج على متن سفن التاجر أحمد عبدالقادر باشراحيل (القادري وقنبوس)، ثم على سفن التاجر الشيخ محمد عمر بازرعة المسماة (الزاهر، الميمون، الحجاب) لمدة خمس وثلاثين سنة، ثم على متن سفينتة المسماة (فلك المحضار) الملقبة (غبيشة) وقد مارس عليها رحلاته الملاحية والتجارية حتى آخر أيامها عندما تعرضت للغرق في ميناء

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بومباي بالهند على مشارف عام ١٩٥١م وآخر رحلة له كانت مع النوخذة شيخ بن محمد باعباد على متن السفينة فتح الخير إلى ميناء كاليكوت، ثم بعدها استقر ببلاده الحامي مرجعاً من مراجع العلوم الملاحية والبحرية في ساحل حضرموت يحتكم إليه الملاحون في قضاياهم البحرية مستفيدين من خبراته في مجال الملاحة والقياس.

وقد استفاد من علومه الملاحية أيضاً العديد من الباحثين اليمنيين وفي مقدمتهم:

١. الأستاذ المؤرخ المرحوم محمد عبدالقادر بامطرف وقد ترجم له في كتابه المفقود "شخصيات لاتنسى" وأشار إليه في كتابيه "الشهداء السبعة" و"الرفيق النافع في شرح منظومتي باطايع".

٢. الشيخ المرحوم بدر بن أحمد الكسادي، وقد ترجمه في كتابه (أبطال منسيون من ربابنة الملاحة البحرية العربية) الصادر في هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة بتحقيقنا.

٣. الأستاذ الباحث في علوم الملاحة المرحوم حسن صالح شهاب وقد أشار إليه في كتابيه "الملاحة الفلكية عند العرب"

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

و"قواعد علم البحر" وذلك عندما قرأ عليه نتفاً من علم القياس للملاح الشهير أحمد بن ماجد فوجده من بين البحارة الخليجيين واليمنيين له إطلاع تام بهذا العلم النفيس.

٤. الأستاذ الباحث عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي وسجل معه العديد من اللقاءات العلمية عام ١٩٧٤م.

٥. الأستاذ الباحث جعفر محمد السقاف، وأشار إليه في كتابه (لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت).

وهو من الملاحين المخضرمين الذين أفنوا حياتهم في الرحلات البحرية والتجارية بين موانئ المحيط الهندي من الهند وعمان شرقا إلى البصرة شمالًا إلى الموانئ اليمنية غربًا إلى إفريقيا جنوبًا. بلغت سنينه في الخدمة الملاحية ما يربو على ستين عاما تنقل فيها على العديد من السفن التجارية لتجار عدن وحضرموت، وبعدها استقر بمدينته الحامي مرجعا للعلوم الملاحية والفلكية حتى وفاته سنة ١٤٠١هـ الموافق ١٩٨١م عن عمر ناهز مائة عام.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

رحلاته إلى البصرة:

للربان باعباد العشرات من الرحلات التجارية بين موانئ حضرموت والبصرة لجلب التمر والمتاجرة فيه لآل باشراحيل ثم لآل بازرعة ثم لآل الحمد الكويتيين ونشير إلى رحلتين:

الرحلة الأولى في منتصف أغسطس عام ١٩٤٨م سافر مع سنجاره باهيال من ميناء بروم إلى المكلا ومنها إلى البصرة وحملوا السفينتين تمرا من ميناء البصرة تحت إشراف وكيلهم خالد عبداللطيف الحمد لغرض بيعه في موانئ الحامي والشحر والمكلا وعدن وقد قام الربان باعباد ببيع شحنة السفينة من التمر في تلك الموانئ، وأما صديقه باهيال فقد واصل سيره إلى ميناء جيزان لبيع ما تبقى معه من كمية التمر ثم بعدها عادا إلى بلدهم الحامي في أيام التدبيرة وإغلاق البحر في أوجه السفن الشراعية.

وأما الرحلة الثانية فقد سافر مع فتوح البحر أبوابه للسفن هو وصديقه باهيال أيضًا إلى ميناء البصرة، ونولهم وكيلهم حمد بن عبداللطيف الحمد تمر زاهدي -أحد أنواع تمر البصرة الشهيرة-

إلى خور مجان لبيعه هناك ولما شحنوا السفينتين وتوجهوا إلى خور مجان وجدوا فيه التمر موجودًا بكثرة وليست له سوق -أي أسعاره منخفضة ولم يكن له كثير طلب- فحينها أبرقوا إلى حمد عبداللطيف لإخباره بالسعر، فأمرهم بالتوجه إلى بر عرب وحدد لهم أجرة على ذلك ويقوموا بالبيع في الموانئ التي يمرون عليها على طول البحر العربي كمسقط وظفار والمهرة وحضرموت وما تبقى من التمر يسلم إلى وكيلهم في عدن عبدالله جعفر، ولما وصلوا إلى عدن سلموا التمر لوكيلهم المذكور بعد أن باعوا جزءا منه في الموانئ التي مروا عليها وسلمهم أجرتهم ورجعوا إلى الحامي.

ويحدثنا ابنه الربان أحمد محمد باعباد عن آخر رحلة قام بها والده في المتاجرة لآل الحمد وهي عام ١٩٥٠م وكان مرافقا له من الحامي إلى البصرة وشحن سفينته فلك المحضار شحنة من التمر ملك خالد وحمد أبناء عبداللطيف الحمد ثم اتجه بها للهند لبيعها هناك، ولكنه لم يتمكن بسبب المظاهرات في بومبي التي تندد بموت زعيم الهند المهاتما غاندي، وبعد ثلاثة أيام تمكن من إنزال بعض الشحنة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ولكن يبدو أن البلد مستكفٍ حاجته من التمر، فاضطر للتوجه إلى حضرموت لغرض بيعه نزولًا لرغبة آل الحمد، وتسليم الباقي لوكيلهم عبدالله جعفر، ولما وصل باعباد إلى الحامي قادمًا من الهند جاء نائب الشحر عمر أحمد باصرة وأمر بشراء جميع التمر الممتاز الوارد مع السفن؛ لان مخزون التمر في حضرموت تلك السنة قليل، وقام النوخذة باعباد بتسليم باقي التمر لوكيل آل الحمد بالمكلا واستلم أجرته من ذلك الوكيل.

رحلاته بين عمان والهند:

كثيرة هي تلك الرحلات التجارية التي كان يقوم بها الربان المعلم باعباد بين عمان والهند، وقد أشار إلى بعضها فيما كتبه وسجله من مسيرة حياته، ومن أبرز تلك الرحلات أنه سافر عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) في سنبوق الهلال الذي يحمل ٥٠٠٠ كيس من ميناء عدن مع سنجاره النوخذة مبارك نصيب وقد حملوا السنبوقين العديد من البضائع لتجار ظفار ومرباط التي كانت ترسل لهم عن

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

طريق الوكالات التجارية في عدن كوكالة رابضة وغيرها، حتى وصل إلى ظفار ومرباط فقاموا بتنزيل تلك البضائع وبدأوا يجهزون للاستعداد للسفر إلى ممبي بوساطة وكيلهم محمد حميد الآتي ذكره، ويصف الربان باعباد ميناء مرباط في ذلك اليوم الذي وصلوا فيه بقوله: "وجدنا الفرحة فيه والبنادير -الأعلام- منشرة والزينة والمدافع تضرب فأخبرنا الأهالي ما هذا؟ فقالوا إن السلطان سعيد زاده ولد اليوم (وهو السلطان قابوس بن سعيد)، وقد أرسلوا البدانات -جمع بدن وهي سفن شراعية- إلى مسقط عبر البحر والجمال عن طريق البر لتبشر والده"، وقد جلس الربان باعباد في ميناء مرباط عدة أيام حتى حصل على حمل إلى ميناء ممبي مع عدد من الركاب التجار والمسافرين فعندها أقلع بسفينته إلى الهند ولما وصل إلى ممبي وأفرغ شحنة السفينة قام بشحنها ملحًا لآل بازرعة إلى كاليكوت، وكان وكيلهم بها يوسف صقر من تجار الكويت، وكان النواخذة الحضارمة عندما يذهبون إلى الهند يقومون بصيانة السفينة في بومباي أو كاليكوت ثم يذهبون إلى الحفيص (مكتب الجمرك)

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

لتسجيل اسم السفينة واسم الناخوذة فإذا تحصل على حمولة إلى عمان مثلاً إلى مسقط أو ظفار ومرباط يقوم بالمكاتبة مع الوكيل بها كما فعل ذلك بالضبط الربان باعباد فعندما وصل إلى الهند لميناء بومباي عرض عليه السيد علي بن حسين عيديد -الذي يعمل تاجرًا ووكيلا في بومباي كما سيأتي ذكره- حمل رز وغيره من بضائع الهند كالبهارات ونحوها لجماعة من تجار ظفار ومرباط فقام بشحنها ونقلها إلى ظفار ومرباط، وحمل منهما جملة من البضائع مع جماعة من المسافرين، وعاد أدراجه إلى ميناء كاليكوت وشحن السفينة خشب إلى ميناء عدن.

وقد قام الربَّان باعباد بتسجيل قصة حياته مع البحر كتابةً على الورق وفي أشرطة الكاسيت، وترك مدونات بحرية ومرشدات ومنها تلخيص رحماني النوخذة الكويتي المشهور عيسى ابن قطامي المسمى(دليل المحتار في علم البحار).

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

المراجع: انظر: محمد باهارون:

١. صفحات من حياة الربانين محمد عبدالله باعباد وأحمد سعيد باهيال، دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث ٢٠١٢م.

٢. الملاحون الحضارمة ودورهم في الصلات التجارية بين الهند وعمان، غير منشور.

٣. العلاقات الحضرمية الكويتية الحامي نموذجًا، تحت الطباعة بمركز البحوث والدراسات الكويتية.

* * *

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

تاسعاً: الربّان الشاعر أحمد بن سعيد باهيال

لقد تحدثنا في المبحث السابق عن شخصية الربّان محمد عبدالله باعباد، وهانحن نتحدث في هذا المبحث عن زميله في العمل وصديقه الحميم النوخذة أحمد بن سعيد باهيال، وهما كما يقول الأستاذ عبدالرحمن الملاحي: "صورة من مكونات لوحة فنية زاهية تزدان بها مدينة الحامي عبر القرون"، وقد شكلا ثنائياً ملاحياً رائعاً في العمل على السفن الشراعية منذ نعومة أظفارهما، فقد تدربا على الرتب البحرية المعروفة وتنقلا فيها من العمل على صغيّر قرص إلى صغيّر درك إلى بحري إلى سكوني إلى كرّاني (كاتب) إلى صرنج إلى نوخذة حتى وصلا رتبة الربان المعلم والقائد البحري للسفينة الذي يستخرج القياس للشمس ويعرف ميلها ويحدد مسافة العرض والطول للموانئ والبلدان التي يقصدونها.

وقد قادا العديد من الأساطيل البحرية التجارية في القرن الرابع عشر الهجري التي تعود ملكيتها لكبار تجار حضرموت وعدن والحديدة وجازان، فقد تنقل الربان باعباد على سفن آل أمان وآل باشراحيل وآل بازرعة وغيرهم، كما تنقل الربان باهيال على سفن آل بازرعة وآل باسويد وآل باشنفر وآل البسام وغيرهم، ومكثا عشرات السنين مبحرين على متن السفن الشراعية إلى موانئ شرق إفريقيا والهند والخليج العربي والصومال ملاحين وتجارًا منذ ازدهار الملاحة البحرية حتى أفول نجمها في السبعينيات الميلادية، وحينها مكثا في مدينة الحامي بين أهلهم وذويهم محل تقدير واحترام ومرجعين مهمين للمختصين في تاريخ حضرموت البحري، وقد استفاد من خبراتهم الملاحية والفلكية العديد من الباحثين اليمنيين من أبرزهم الأستاذ الباحث حسن صالح شهاب، والأستاذ الباحث عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي، وقد حدثاني عن لقائهما بالربانين باعباد وباهيال واستفادتهما منهما وإعجابهما بعلومهما الملاحية والفلكية، وقد قصا عليّ بعض الحوادث البحرية التي حدثاهما بها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وقد أشار الأستاذ حسن شهاب إلى الربان باهيال في كتابيه "أضواء على تاريخ اليمن البحري"، و"فن الملاحة عند العرب " كنموذج لنواخذة السفن الشراعية الذين مارسوا خدمة الملاحة منذ نعومة أظفارهم وتدربوا فيها حتى وصلوا رتبة الناخوذة.

ولد الربّان باهيال سنة ١٣٢٢هـ بحي الصيادين في ميناء المكلا ونشأ بها، وركب البحر وعمره ١٢ سنة مع خاله الملاح مبارك عمر باقلب متدرجا في الرتب البحرية حتى وصل إلى رتبة الناخوذة، سافر مع العديد من النواخذة منهم عبيد مبارك باني في سفينة الجوهرة ومع النوخذة عبود حاج باسعد في سنبوق راجي كريم، ثم عمل في سنبوق بازرعة المسمى الميمون مع النوخذة أحمد محفوظ الكسادي، وفي تلك الفترة توثقت علاقته بصديقه الربان باعباد فتتلمذ على يديه، واستفاد من خبراته وتولى حينها التنخذة وعمره ٣٠ سنة، وسكن ميناء الحامي بعد أن تزوج فيها عند آل بن عروة وبنى له بيتا بمساعد صديقه باعباد.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وقد سافر إلى موانئ البصرة ومسقط والكويت وشرق إفريقيا وغيرها في سفن العديد من التجار منهم آل بوسبعة وآل بازرعة وآل باصالح وآل البسام تجار ميناء جيزان (المنتصر والحكى والديس) وآال باشنفر (السعيد والرياض) وسنبوق باسويد المسمى الميمون.

ثم اشترى سفينة شراعية اسمها المتوكل وقد غرقت عليه في ساحل المهرة، ثم اشترى سفينة أخرى اسمها الصبر وقد أممت عليه من قبل قانون التأميم الذي فرض من قبل الحزب الاشتراكي عام ١٩٧٢، وقد تقاعد عن الخدمة البحرية عام ١٩٧٤م، ومكث مترددا بين مسقط رأسه المكلا وموطنه الحامي حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ١٤٠٠هـ الموافق ١٩٨٠م ودفن بمقبرة يعقوب بالمكلا.

نماذج من رحلاته البحرية المتعددة:

أما رحلاته الملاحية والتجارية فهي كثيرة إلى عمان والبصرة والكويت وكراتشي وجوادر وشرق إفريقيا وجدة.

جاء في مذكراته الملاحية لعام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) في رحلته التجارية التي بدأها من المكلا إلى ظفار ومسقط وكراتشي أنه بينما

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

هو في ميناء مسقط على أهبة التجهيز للسفر رسى اثنان أبوام كويتية في ميناء مسقط قادمة من البصـرة محملة بالتمور وجاء نواخيذها إلى عنده بعد العشاء وهم عبدالعزيز مضاحكة ويعقوب البدر وطلبوا منه السنجرة (الرفقة) وقالوا له " نحن أهل قياسات ولا ندرك البر وبغينا سنجار معك إلى اليمن ونريدك أن تتأخر لنا يوم واحد وأنت نوخذة وتعرف السوالف" وتأخر النوخذة باهيال لرفقائه الكويتيين ليتمكنوا من قضاء أعمالهم في مسقط وفي اليوم الثاني سافر على بركة الله، وبينما هم سائرون في البحر بقرب رأس الحد اشتدت عليهم الرياح وسقط عليهم الدقل والشراع لسفينة الباهيال في البحر وجاءوا إليه النواخذة الكويتيين وقاموا بربط سفنهم بسفينته وقدموا لهم المساعدة من استاد يقوم بإصلاح خلل السفينة ونحوه ثم أدركتهم إحدى الطائرات العمانية من على مطار رأس الحد، وبعدها سافروا إلى ظفار ونزل باهيال التمر في الميناء وباع الكويتيون بعضا من التمر حقهم وتوجهوا بعدها إلى ميناء المكلا.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وفي سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م) توجه الربان أحمد بن سعيد باهيال إلى ميناء البصرة وشحن سفينته بالتمر للتاجر أحمد بن سليمان البسام من تجار جيزان من عند وكيلهم خالد عبداللطيف الحمد وتوجه بسلامة الله إلى مسقط ثم إلى حضرموت وجيزان ونزل بقية الحمولة في ميناء جدة.

وفي ١٥ ذو القعدة من العام المتقدم حمّل من المكلا بورتي – نوع من الخشب يستعمل لسقف البيوت –وتنباك (تبغ) ونورة – جير أبيض– وليم يابس وتوجه إلى ميناء البصرة وباع بها الليم والنورة، والبورتي مرسول إلى بندر عباس ثم ذهب مع سنجاره أحمد بن طاهر رجب من نواخذة الحديدة إلى وكيلهما حمد الحمد وحمل سفينتيهما بالتمر من الدورة بالبصرة إلى اليمن وجازان.

وقد دون النوخذة باهيال حياته الملاحية العملية مع رفيقه الربان باعباد، وقد قمنا بتحقيقها وإصدارها في كتاب بعنوان(صفحات من حياة الربانين محمد عبدالله باعباد وأحمد سعيد باهيال) صدر عن دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٢م، يرجع إليها من أراد الزيادة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

ومما تركه الربان باهيال من آثاره العلمية منظومتان إرشاديتان، وقد نظم المنظومة الأولى عام ١٣٦٥هـ الموافق ١٩٤٥م وصف فيها الرحلة من ميناء الحديدة إلى ميناء البصرة يقول فيها:

بوسالم يقول جد العزم للبصرة من الحديدة ونا في دار باغفار
خرجنا من الصبح بدري كلنا مره في نصيفة الليل صلينا على المختار
في السندبار السهيل بانبدي المجرى وزقر بغيناه ينتخ ماخر العيار

ونظم المنظومة الثانية في عام ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٣م يصف فيها المجاري والطرق البحرية من ميناء البصرة إلى ميناء كاليكوت بإقليم منيبار بالهند ثم منه إلى ميناء الحامي بحضرموت، وهي رباعية جعل تربيعها قوله (حِذرك تبيع الكَتَب من غير قِيم) جاء فيها:

باخرج بمجرى من البصرة تمام وبصمتي باطرحها بالبهام
با خرج من الخور والرازق كريم
من كاين الخور باتمجري بتير لمّان خارج وبا يزين المسير
قصدي نبا الهند والرازق كريم
عقرب حمارين من خارج تمام يقع في صحو وإلا في ظلام
لمّا المطاف الذي بحره هميم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

عاشرًا وحادي عشر:

الربانان أحمد عوض عيديد وعوض مبارك الكلالي

في هذا المبحث نتحف قرائنا الكرام بربانين عظيمين كانت لهما صولات وجولات في تجارة المحيط الهندي في القرن العشرين الميلادي.

أولًا: الربّان المعلم أحمد بن عوض بن محمد عيديد:

هو شقيق الربان محمد عوض عيديد الذي تحدثنا عنه سابقًا، وكانا كفرسي رهان وما قيل في أخيه فهو ينطبق عليه فقد تلقى بداية تعليمه على والده الفقيه وغيره من شيوخ الحامي ثم التحق بالخدمة البحرية وتدرج في مراتبها المعروفة حتى بلغ رتبة الربان المعلم وصار يقود السفينة بنفسه وامتلك السنبوق المسمى فتح الباري الملقب كنيف أبحر به إلى شتى أقطار العالم ملاحاً وتاجراً معروفًا بين أهالي ساحل حضرموت وعمان وغيرهم.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

وهو أحد الملاحين المشهورين برحلاتهم التجارية بين الهند وعمان على متن السنبوق المسمى بالصرك الذي تعود ملكيته لآل أبو سبعة تجار مدينة المكلا، ثم على متن سفينته فتح الباري، وقد كان يبحر كل عام من ميناء الحامي ويرسي سفينته بميناء ظفار، وفي صلالة يقيم ماشاء من الأيام عند صديقه الحميم عوض بن أحمد بن عبيد من أهالي صلالة، ويتوافد إليه تجار ظفار من صلالة ومرباط وطاقة وغيرها لحجز أماكن لهم ولبضائعم على متن سفينته والسفر معه إلى ميناء بومباي ويبدأ في الاستعداد، وتشير بعض الرسائل المؤرخة سنة ١٣٤٤ هـ أنه طلع معه جماعة من تجار ظفار إلى الهند ومن بينهم السيد عمر بن أحمد عيديد أحد تجار سوق الحصن بصلالة.

وكان السيد أحمد بن عوض عيديد من التجار المشهورين الذين كانت لهم تعاملات نشطة مع تجار ظفار في تجارة اللبان فكان يأتي إلى ظفار لتحميله مع غيره من البضائع إلى الهند ويذهب معه الكثير من أهل المنطقة وخصوصا أهل صلالة.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

ويذكر السيد محمد بن حسين عيديد قاضي ميناء الحامي المتوفى سنة ١٣٦٩هـ في مذكراته اليومية العديد من تلك الرحلات التجارية التي يقوم بها الربان أحمد عوض عيديد إلى الهند ما بين عامي ١٣٤٣ -١٣٥١هـ والتي كان يعرج فيها على ميناء ظفار مع سنجاره أي السفن المرافقة له.

ولما كبر ودخل في الشيخوخة تقاعد عن الخدمة البحرية ومكث في مسقط رأسه الحامي مرجعاً لحل قضايا الملاحين ومتصدراً لمجالسهم مستفيدين من قدراته وخبراته حتى انتقل إلى رحمة الله يوم الخميس ٥ رمضان سنة ١٣٧١هـ.

ثانيًا: النوخذة عوض بن مبارك الكلالي:

من نواخيذ الحامي الذين عرفوا بنشاطهم الملاحي والتجاري بين موانئ حضرموت والهند والخليج العربي، وكان يقوم بنقل البضائع الهندية لبعض تجار الكويت في سفينته المسماة (كوتية) – من أنواع سفن الهند المصنوعة في منيبار–، وكان رحمه الله يقوم بنقل الأخشاب من ميناء كاليكوت إلى الكويت للتجار الكويتيين،

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

ويحدثنا الربان زين بن عبدالله عيديد (١٣٤٨-١٤٢٨هـ) - الذي كان ربانا لتلك السفينة في أسفارها بين الهند والكويت- عن آخر رحلة قام بها (عام ١٩٥٢م) مع النوخذة الكلالي إلى الكويت محملين أخشاب من منيبار وقد حصلت لهم ضربة بحرية في أثناء طريقهم كادت تغرقهم لولا لطف الله بهم، وقد نالوا منها مشقة كبيرة حيث وقفت الرياح ونفذ عليهم الماء ثم جاءوا إلى مسقط ونزلوا الخشب وعملوا صيانة للسفينة ثم سافروا.

ويضيف أحد بحارة السفينة -وهو سالم أحمد باهيال- أنهم مكثوا شهرًا ونصف الشهر في الغبة بين سماء وماء حتى أوشك ماء الشرب على النفاذ فقاموا بخلطه مع ماء البحر وعند ذلك ضج البحارة مما نالهم من التعب الشديد وقاموا بعمل مولدٍ للنبي صلى الله عليه وسلم وقام النوخذة وانتذر بمبلغ من المال للشيخ عمر المحضار بأن الله ينجيهم مما هم فيه، ثم رأوا باخرة في عرض البحر من بعيد ولما تأكدوا منها ذهب إليها بعض البحارة على قارب السفينة لمساعدتهم وكانت باخرة صينية لا يوجد أحد من ركابها

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يعرف العربية سوى واحد يجيد الكلام بالسواحلية (لغة شرق إفريقيا) فكلمه أحد بحارة الكلالي وهو سالم بن سالم فغمة كان يجيد الساحلية، وبدورهم قاموا بإعطائهم الأكل وماء الشرب وجميع ما يطلبونه، وبعد يومين من ذلك هبت عليهم رياح طيبة ياهوم -أي تهب من خلف السفينة- وجرت سفينتهم حتى دخلوا ميناء مسقط مع بداية شهر رمضان، وقد كان جميع بحارة السفينة مرضى بسبب ما نالهم من المشقة فنقلوا إلى مستشفى مسقط لأخذ العلاج ومكثوا بها ١٥ يوم وبعدها سافروا بحمولة الأخشاب إلى الكويت وهي باسم التاجر الكويتي عبدالرحمن الشاهين.

المراجع: انظر: محمد باهارون:

١. العقد النضيد في تراجم بعض أعلام آل عيديد، دار الحامي للدراسات والنشر ٢٠١٣م.

٢. العلاقات الحضرمية الكويتية الحامي نموذجا، تحت الطبع.

٣. الملاحون الحضارمة ودورهم في الصلات التجارية بين الهند وعمان، بحث غير منشور.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

الثاني عشر والثالث عشر:

الربّانان المعلمان

زين عبدالله عيديد وأحمد محمد باعباد

نختتم هذه السلسلة العلمية بعلمين معاصرين يعدان خاتمة عقد ربابنة حضرموت الذين ركبوا البحر مروضين أمواجه العاتية وقادوا السفن الشراعية والميكانيكية بين موانئ المحيط الهندي، وهما من المعالمة أصحاب القياس الذين أتقنوا هذه الحرفة بكل مهارة، وشهدوا احتضار الملاحة الشراعية وهي تلفظ أنفاسها في حضرموت مخلفة بينهم الذكريات الحلوة والمرة التي عايشوها إبان شبابهم وفتوتهم .

أولًا: الربان السيد زين بن عبدالله عيديد:

هو آخر ربان في أسرة آل عيديد المشهورة بامتهان أفرادها الملاحة والتجارة البحرية منذ القرن العاشر الهجري في حضرموت.

كان ميلاده في ميناء الحامي سنة ١٣٤٧هـ وبها نشأ وترعرع، تخرج في مدرسة الهدى والفلاح في عام ١٣٦٠هـ ثم التحق بالخدمة البحرية مع والده الربان عبدالله بن حسين وعميه الربانين أحمد وعمر وابن عمه النوخذة أحمد محمد عيديد، وبدأ يتدرب على الفنون البحرية متنقلا من رتبة إلى أخرى حتى وصل رتبة الربان المعلم الذي يسير السفينة في أعالي البحار (الغبة)، ويتقن قياسات ميل الشمس واستخراج خطوط الطول والعرض بعمليات حسابية دقيقة وغيرها من الفنون الملحقة بهذا العلم.

وقد أظهر الشيء الكثير من الذكاء والفطنة في قيادة السفن، ويذكر عنه الكثير من المواقف الشجاعة رغم صغر سنه حتى حكى عنه الشيوخ أنه سافر ذات مرة مع عمه المعلم عمر بن حسين عيديد إلى الهند وفي أثناء الطريق حصل لعمه خلل في القياس مما أدى إلى عدم معرفته المجرى الذي تسير عليه السفينة فأصابته كآبة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وبكى من شدة ذلك وأيقن أنهم هالكون، فصاح على ابن أخيه وهو متأثر وعليه علامات الخوف أننا قد تهنا أي ضعنا، ولكن ابن أخيه الشاب طمأنه بأنه يستطيع أن يرسو بالسفينة في بر الأمان فسلمه قيادتها فلم تمض إلا ساعات حتى شاهدوا البر وأبحر بها إلى سواحل حضرموت، ونجا جميع الركاب من غرق سيحدق بهم لا محالة وسببه خطأ الربان في قياساته.

ثم سافر كربان معلم مع النوخذة عوض مبارك الكلالي في سفينته الكوتية الشهيرة إلى الهند ومسقط والبصرة والكويت وقد ذكر الملاح زين عيديد لبرنامج من التراث البحري الذي أعده الأخ محمد أحمد بن الشيخ ابوبكر لإذاعة المكلا آخر رحلة تجارية بحرية قام بها مع النوخذة الكلالي من منيبار إلى مسقط والكويت والسفينة محملة بالخشب وقد جرت عليهم في الطريق ضربة شديدة قاسوا فيها الكثير من المتاعب من نفوذ الماء العذب ثم أنقذتهم سفينة أجنبية ووصلوا إلى مسقط بعد رحلة مضنية وشاقة ونزلوا الخشب وعملوا صيانة للسفينة ثم سافروا إلى الكويت. وكان ذلك عام

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

١٩٥٢م ثم تقاعد عن خدمة البحر وسافر إلى دولة الكويت للعمل بها ومكث مترددًا بينها وبين مسقط رأسه حتى عام١٩٩٠هـ إبان الغزو العراقي فعاد إلى الحامي مستقرا بها حتى وفاته ليلة عيد الفطر عام١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

ثانيًا: الربان الشيخ أحمد بن محمد باعباد:

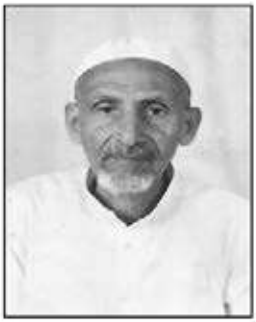

وهو نجل الربان المخضرم محمد بن عبدالله باعباد أحد المترجم لهم في هذه السلسلة العلمية.

كان ميلاده سنة ١٣٥٠هـ ونشأ بالحامي تحت رعاية والديه، ولما بلغ عمره سبع سنوات أدخل إلى مدرسة الهدى والفلاح في أول دفعة بها ودرس بها.

ثم اصطحبه والده في رحلاته الملاحية إلى موانئ البصرة والهند وبدأ يدربه على قيادة السفينة كما يحدثنا بقوله: "سافرت مع والدي وسني ١٢ سنة في السفن الشراعية، تعلمت من والدي طريقة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

القياس واستخراج الطول والعرض حسب الكتب الموجودة عنده، وقد عرفت الكثير منه، وبعد ذلك حمّلني والدي المسئولية في اتجاهات السفر من بلد إلى بلد".

ثم سلمه والده قيادة السفينة الشهيرة بـ(فلك المحضار) ويسافر معه كأحد البحارة، وذلك بعد إتقانه لذلك العلم النفيس.

ومكث عاملًا على متن تلك السفينة حتى غرقت في ميناء بومباي بالهند عام ١٩٥١م ثم عمل مع والده وعمه النوخذة شيخ بن محمد باعباد على متن سفينتي التاجر عمر عوض باعوم.

وبعد عام ١٩٥٣م سافر إلى المملكة العربية السعودية وعمل في مدينة الدمام مع جماعة من أبناء الحامي ومكث فيها حتى أواخر الثمانينات رجع إلى الحامي واستقر بها فاتحًا بيته للباحثين والمستفيدين ومرجعًا فلكيًا وملاحيًا يرجع إليه، وكان يراسل العلماء ويستفتيهم كالعلامة عبدالله بن محفوظ الحداد والفلكي الكويتي صالح العجيري بشأن بعض الأمور المتعلقة بتوقيت الصلاة وغيرها.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

وفي عام ١٩٩٢م قام بتسجيل العديد من المعلومات الملاحية والتاريخية على ورق الفلوسكاب وفي أشرطة الكاسيت ومنها الرحلات البحرية لملاحي حضرموت إلى الخليج والهند وشرق أفريقيا والدليل البحري في تقسيم النجوم قياس ميل الشمس وكيفية استخراج خطوط الطول والعرض، وقد تم طباعتها مؤخرا في دار الحامي للدراسات والنشر وخدمة التراث ٢٠١٠م، بالإضافة إلى مذكراته الشخصية وقد قدم تلك المخطوطات للعديد من الباحثين والمهتمين ومنهم أعضاء لجنة التراث البحري والشعبي بالحامي برئاسة السيد حسين أحمد عيديد، والأستاذ الباحث عبدالرحمن الملاحي، ود.عادل الكسادي، والباحثان الأمريكيان ادوارد برادوس، ودايفد واربرتن، وقد عقدوا معه العديد من المقابلات، كما ألقت معه إذاعة المكلا بعض اللقاءات قام بها الأخ الإعلامي محمد أحمد بن الشيخ أبوبكر في لقاء خاص عام ١٩٩٩م وفي برنامج من التراث البحري عام ٢٠٠١م.

وكانت وفاة الربان باعباد في عام ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

المرجع: محمد باهارون، الملاحون الحضارمة ودورهم في الصلات التجارية بين الهند وعمان، والعلاقات الحضرمية الكويتية.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

سطور من حياة الربّان عبدالكريم سالم الكسادي

من أواخر ربابنة حضرموت

عرف أبناء حضرموت بحبهم للبحر وعشقهم لفنون الملاحة البحرية، وتحديهم للمغامرات البحرية على ثبج ذلك المخلوق العظيم، وقد برز منهم ربابنة مرموقون في كل من الشحر والحامي والمكلا والديس وغيرها. تولوا قيادة العديد من السفن التجارية الضخمة، وسيروها بقوة الرياح قبل أن تظهر المحركات الآلية، ولعل آخرهم وجودا الربان القدير عبدالكريم بن سالم بن حسن بن عبدالله بن عبدالكريم الكسادي الذي تسلسلت في أسرته التنخذة البحرية أبا عن جد، ومعروف في التاريخ أن آل الكسادي قبل أن يتولوا أي منصب للحكم في كل من الحامي والديس والمكلا، كانوا ملاحين ماهرين امتلكوا العديد من السفن الشراعية منذ بداية القرن الحادي عشر الهجري إلى النصف الثاني من القرن الرابع عشر، وكان من أواخرهم حاكم الحامي النقيب محفوظ بن أحمد الكسادي

(ت: ١٩٢٠م) الذي امتلك العديد من تلك السفن الشراعية من أسمائها: بارودة، والزاهر، والميمون، والهاشمي، وسمحة، والعز، والزرقاء، وشوي شوي، وغيرها.

ميلاده ونشأته وتعليمه:

كان ميلاد الربّان عبدالكريم في مدينة الديس الشرقية سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م، وفي ذلك المحيط الملاحي نشأ وترعرع مترددا بين مسقط رأسه الديس ومثوى أجداده الحامي، ثم نقله خاله النوخذة محمد بن عمر الكسادي (ت: ١٩٨٦م) مع والدته إلى الحامي نظرا لغياب والده في رحلاته البحرية حيث كان يعمل بحارًا في إحدى السفن الشراعية.

وفي عام ١٣٦٥هـ أدخله خاله المذكور إلى مدرسة الهدى والفلاح بالحامي ليتلقى تعليمه بها على يد أساتذة فضلاء من أمثال الشيخ العلامة عبدالكريم عبدالقادر الملاحي والشيخ سالم خميس حبليل والشيخ المعلم عوض عبدالله بن عروة، ومكث بها متلقيًا

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للعلم حتى تخرجه منها عام ١٣٦٨ هـ، ويحدثنا حفظه الله عن ذلك التخرج البهيج الذي احتفلت به الحامي وابتهجت بتلك الثلة من أبنائها منهم عمر سالم حبيشان، وأحمد سعيد بقرف، وسعيد سالم باصالح، وغيرهم، وقد عمل لهم الزف المعروف بعد ختم القرآن الكريم، حيث يعلق المصحف على عاتق كل طالب متخرج بعلاقة خضراء، وعليهم الأردية والفوط الجديدة، وكان في مقدمتهم الشيخان سالم علي الكسادي وأبوبكر سالم باعباد، صادحين بأناشيد الزف وأصواتهما تخترق الجموع، وأصوات النساء من الجهة الأخرى مرتفعة بالزغاريد في موكب بهيج عاشته البلدة في ذلك اليوم.

التحاقه بالخدمة البحرية:

بعد أن أمضى أربع سنوات أكمل بها تعليمه في مدرسة الهدى، أخذه معه خاله النوخذة محمد عمر الكسادي في أولى رحلاته، بإلحاح من والدته ليساعدهم في أمور الحياة كما هو شأن العديد من أقرانه، وعمره آنذاك ١٣ سنة، وكان مقصد خاله في تلك الرحلة

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

إلى ميناء البصرة في سفينة الهاشمي الملقبة شنقم ملك الشيخ عبدالرحمن بن محمد بازرعة، وقد رافق خاله في تلك الرحلة النوخذة محمد عمر بايزيد، الخبير بفنون الملاحة البحرية وعلم القياس، فاستغل خاله فرصة وجود المذكور وأمره أن يعلم ابن أخته عبدالكريم علوم الملاحة مثل القياس بآلة الكمال وكيفية استخراج الطول والعرض، وبدأ يتعلم على يديه حتى وصولهم ميناء مسقط فنزل بها بايزيد، وتحركوا إلى البصرة، وفي البصرة التقى خاله بزملائه من نواخذة صور وهم النوخذة محمد بن علي والنوخذة خميس أبو خردوه فأمرهم أن يعلموه ويختبروه فيما تعلمه من بايزيد، فوجدوه ملما بذلك مع ذكاء وقاد، كما عيّن له خاله النوخذة مبارك عوض الكلالي يعلمه أمور الحساب والقواعد الرياضية. ولما وثق خاله المذكور بخبرته وعلمه البحري صار يعتمد عليه وهو في ذلك السن المبكر، ولا يصطحب معه ربان قياس (معلم) في رحلاته إلى الهند سوى عبدالكريم الرجل الذي في صورة صبي.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

رحلته البحرية من الهند إلى عدن:

كثيرة هي الرحلات التي قام بها الربان عبدالكريم برفقة خاله إلى الهند، ولكن أبرزها وأخرها في الوقت نفسه هي تلك الرحلة التي أبحر بها ربانًا مستقلًا من ميناء كاليكوت إلى بر عرب – على حد تعبير الملاحين– وهي التي أشهرته بين الملاحين والربابنة ربانًا حاذقًا خبر البحر وعرف مسالكه ومجاريه، رغم صغر سنه، وهي كما حدثنا عنها: في عام ١٩٥٨م سافر الموسم (مجموعة السفن) من ميناء الحامي إلى كاليكوت بالهند ويقود تلك السفن جماعة من النواخذة ومعلمي القياس منهم: محمد بن عبدالله باعباد، وشيخ بن محمد باعباد، وعبود بن محمد باخبازي، ونصيب جمعان، وعبدالله عبدالرحيم باوزير، وخاله محمد عمر الكسادي في سفينة المحمدي ملك سالم محمد باشنفر، وبعد وصولهم إلى كاليكوت وشحنوا جميع تلك السفن بالأخشاب كالساج والبانتيق، والصناديق الخشبية (السيسم) والهواري (القوارب الصغيرة) ولما أكملوا تلك الشحنات وبينما هم يتأهبون للسفر، وصل في إحدى الأيام خاله

النوخذة عبدالله عمر الكسادي(ت ١٩٦٣م) في سفينة الميمون ملك التاجر عمر عبدالله باسويد، وأمر أخاه محمد وبقية النواخذة أن ينتظروه حتى يشحن السفينة؛ لأنه يريد مرافقتهم ويمشي معهم سنجار لكونه ليس معه معلم، ولكنهم رفضوا، فأمره أخوه محمد أن يستأجر له ربانًا عمانيًا من ربابنة صور في كاليكوت، فبحث عنه فلم يجده، فقال له إذاً سنعطيك الربان عبدالكريم فصاح بأعلى صوته مستغربا من عبدالكريم؟!! هذا ولد صغير فقال له أخوه محمد: خذه معك على ضمانتي. ثم سافر النواخيذ وتخلف خاله النوخذة عبدالله عمر، وجلس بحارته في كاليكوت أحد عشر يومًا يشحن السفينة، وكان النواخذة الكويتيون -أمثال الخرافي وعبدالوهاب القطامي- عند يمر عليهم الربان عبدالكريم مع زميله زين عيديد يوبخونه عن تأخرهم ويحذرونه بقولهم (إذا ما تسافر فستبرص في كاليكوت)، فكان يدخله الحماس ويذهب إلى خاله ليحثه على السفر لئلا يداهمهم الوقت، ولكنه يرفض، وآخر مرة قال له سأعطيك فرصة لمدة يومين، وبعدها أخذ أوراق الكرنتيه

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

(الحجر الصحي) من عند الوكيل السيد عبدالرحمن الجفري، وأمره أن يجهز المنافيس (كشوفات شحن السفينة)، وفي اليوم الثاني والبحارة جالسون مع إخوانهم الكويتيين إذا بالضابط ينادي على النوخذة عبدالله عمر الكسادي، وسلمه المنافيس وأمره أن يسافر، فقفز من مكانه وقال من أعطاهم المنافيس؟ من فعل هذا؟ فأجابه الربان عبدالكريم أنه هو الفاعل فقال أنت ولد غشيم! فقلت له إن وقت السفر سينتهي ونحن ضقنا من الجلوس في كاليكوت، ثم في ظهر اليوم الثاني بعد أن أخذ قياسه واستخرج طوله، أمر خاله النوخذة أن يشمر الشراع، ومخر بهم السنبوق الميمون المعروف بخفته -وزيادة على ذلك أعمل له صيانة في ميناء كراتشي زادته خفة فوق خفته- وبعد ثلاثة أيام أمر أحد البحارة وهو مبارك الدفيقي أن يصعد إلى أعلى الدقل، ليرى جزر الديبة المغمورة تحت سطح البحر، حيث تمر السفن من بينها، وهي المكان الخطير الذي يتخوف منه الربابنة ومنهم ناخوذتنا الكسادي، ولما وصل عند جزر الديبة استبشر خاله وافتر عن ابتسامة الرضا عن ابن أخته الشاب الذي لم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

يكمل عقده الثاني، لأنه تفادى بهم ذلك المكان الخطير الذي هلكت عليه العديد من السفن وصار مقبرة لعشرات من الملاحين.

وبعد تجاوزهم جزر الديبة بـ ٦٠ ميلًا، خرجت عليهم رياح الشمال (الشمالية الشرقية) المعروفة عند الملاحين بالعيوقي، فعوقت عليهم وأرجعتهم من ١٢ درجة مبحرين بها إلى ٣ درجات، وبدأت السفينة تنجرف وراء تيار الرياح متجهة إلى كولم، وحينها لجأ البحارة بالدعاء إلى الله والتوسل بأوليائه الصالحين كما هي عادتهم، وفي الساعة الثانية عشرة ظهرًا هبت عليهم رياح الأزيب (الجنوبية الغربية) فشمروا معها جميع أشرعة السفينة فدفعتهم من ٣ درجات إلى ٧ درجات، وبعد ثلاثة أيام أمر الربان زميله الدفيقي -كعادته- أن يطلع أعلى الدقل ليرى في أي مكان هم؟ فإذا هو يصيح أرى طيرًا أبيض، فأخبر خاله حينها أن الموسم -أي السفن- التي سبقتهم بأحد عشر يومًا هم أمامهم! ولكنه لم يصدق، ثم لما تبين له صدق مايقول انفرجت أسنانه ضاحكة من الفرح، وعرف أن عبدالكريم الشاب الصغير ليس كما ظنه، ولكنه ربان ماهر، ثم

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

وصلوا إلى عند أصحاب السفن ووجدوهم قد تعثروا في سفرهم بسبب انعدام الرياح الطيبة من ناحية، ومن ناحية أخرى ثقل حمل السفن، وبعد أن سلموا على بعضهم البعض اشترط على خاله عبدالله إذا تريد أن تتأخر مع السفن فإنه سيتحول مع خاله محمد، ولكنه رفض تحويله، وأحب أن يكمل الإبحار بهم إلى مقصدهم لما خبره فيه من حنكة وذكاء ومعرفة. وبالفعل انتظر خاله النوخذة عبدالله عمر بقية السفن، فعندها جمع الربان عبدالكريم أمتعته وتحول مع خاله محمد عمر وكان مقصد سفره إلى الكويت، ولكنه سافر مع رفاقه أولا إلى عدن بعد أن نزّل مال الكويت في بروم، وعاد الربان عبدالكريم إلى البلاد.

سفره بين عدن والكويت:

وفي تلك الفترة اشترى الشيخ محمد بن محمد باشنفر أحد الأبوام الخليجية من أحد النواخذة الكويتيين، وطلب من صديقه النوخذة محمد عمر الكسادي أن يرشح له نوخذة لقيادة ذلك البوم، فرشح له

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

الربّان عبدالكريم فرد عليه أنه صغير، فقال له صغير، ولكنه كبير في خبرته ومعرفته، وتولى قيادة ذلك البوم واقتصرت رحلاته عليه بين عدن وجيبوتي يحمل من عدن المواد الغذائية ويجلب من جيبوتي البضائع ومنها الذهب الذي يهرب في تلك الفترة بسبب الرقابة البريطانية الشديدة في ميناء عدن، ومكث مبحرا عليه سنة كاملة.

وفي عام ١٩٥٩م استشار خاله أن يسمح له بالسفر إلى الكويت، ولكنه رفض أول الأمر لعدم رغبته أن يترك مهنة أهله وأجداده، ثم أذن له وأخبره أنه لن يجد عملا بالكويت غير البحر مهنة أهله وأجداده -على حد تعبيره-، فسافر إلى الكويت باحثا له عن عمل ومكث بها مايقارب سنة كاملة بدون عمل وفي آخرها وجد عملًا عند زملائهم في الملاحة والتجارة آل الحمد خالد عبداللطيف الحمد وإخوانه وكان وكيلهم أبوصالح الحمد، ولم تمض عليه سوى سبعة عشر يوما من التحاقه بالعمل، حتى وصلت إليه برقية عن طريق آل الحمد من خاله النوخذة محمد عمر في منتصف عام ١٩٦٠م، يأمره فيها أن يصل إليه في أقرب وقت، يريده نوخذة في

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +2001008170225

مركب الشيخ محمد باشنفر الذي اشتراه من أحد الايطاليين ويسمى (أردنتي) وقد شحنه بالسكر ومنتظر النوخذة، فعندها لم يسعه إلا امتثال أمر خاله، فقدم استقالته من العمل، وأعطاه آل الحمد مرتب شهر كامل وإكرامية ١٠٠ دينار كويتي، وغادر الكويت بالطائرة متوجها إلى عدن وفي مطار عدن وجد خاله وأبوبكر باشنفر ومحمد باشنفر منتظرين وصوله، فوصل الساعة الثالثة عصرا، ومن المطار رأسا إلى المركب وأبحر به في الساعة الخامسة إلى ميناء الحديدة، وجلس مبحرا عليه سنة كاملة، وكان دائما ما يستشير خاله للسفر إلى الكويت فلم يأذن له، وبقي في مركب أردنتي ملاحا وتاجرا لآل باشنفر متنقلا بين عدن وحضرموت وظفار (صلالة ومرباط) يحمل البضائع ويقوم ببيعها للتجار.

وفي عام ١٩٦١م أمره الشيخ محمد باشنفر أن يشحن المركب بالسكر ويسافر به إلى الحديدة، ولكنه طلب من الشيخ محمد زيادة في مرتبات البحارة مبلغ ٢٠ شلن بدل من ١٥٠ يكون ١٧٠شلن لكل بحار فرفض الشيخ وقال له بلهجته "أنت ابن أمك الناس

تقول أريد زيادة في معاشي وأنت تريد زيادة في معاش البحرية"، فرد عليه أنه مكتفٍ بمعاشه ٦٥٠ شلن، ولكن الشيخ محمد لم يقتنع بالزيادة، وراجعه خاله ليثنيه عن رأيه ولكنه أصر عليه -لحاجة في نفسه-، وبعده سلم قيادة المركب للنوخذة أبوبكر عمر حوري وسافر إلى الكويت.

ولم يمكث بالكويت إلا فترة وجيزة حتى أرسل له خاله رسالة يخبره فيها أنه اشترى مركبًا من التاجر البس -أحد التجار الفرنسيين بعدن- يسمى (الرشيق)، ويريده أن يأتي ليتولى قيادته، فلم تسعه إلا الإجابة فلم يعهد أنه خالف له طلبًا يخص نفسه، فجهز للسفر من الكويت إلى عدن، وتولى قيادة ذلك المركب مبحرا به بين عدن وحضرموت وعمان يحمل البضائع وغيرها، وأول رحلة قام بها على متنه شحن سكر من عدن إلى مرباط، ومكث مبحرا عليه حتى عام ١٩٦٧م، عندما بدأت الأوضاع تتغير باستقلال الجنوب وسقوط السلطنة القعيطية بحضرموت، وكانت الملاحة البحرية الشراعية على السفن الخشبية في تلك الفترة في شيخوختها ولم تمض عليها

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

بضع سنوات حتى دفنت في قبرها، مخلفة وراءها الذكريات التي حفرتها في عقول أولئك البحارة الذين ظلوا مبحرين بين موانئ المحيط الهندي ملاحين وتجارًا، مغامرين بسفنهم الشراعية ثم بذوات المحركات الميكانيكية، مضحين بأرواحهم وأموالهم لتحصيل لقمة العيش الكريم، كما نسجوا بينهم الصلات الثقافية والاجتماعية ونشروا تلك الهوية إلى شتى أقطار المعمورة.

ويحدثنا الربّان عبدالكريم سالم عن العديد من تلك المخاطر والمغامرات ولعل من أبرزها أنهم أبحروا في سنبوق الرياض ملك سالم محمد باشنفر بقيادة خاله النوخذة محمد عمر من ميناء مسقط متجهين إلى الهند، وكان في رفقتهم (سنجار)البوم الكويتي الشهير المسمى بـ(المهلب) بقيادة النوخذة الكويتي بن سلامة، ولما قطعوا مسافة ٢٥٠ ميلًا في اتجاه الهند ضربتهم عاصفة بحرية شديدة برياح العيوقي (الشمالية الشرقية) المعروفة، وأظلم الجو عليهم وفي النهار لا يرى أحدهم شيئا حتى أصبعه من شدة الظلمة، ولم يستطيعوا قطع المسافة، وكان بينهم وبين الهند مسافة ٣٥٠ ميلًا، فاستشار

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

خاله النوخذة الكسادي في الرجوع إلى مسقط ولكنه أصر على الإبحار إلى الهند وقال له (سنطويها كما طي السجل)؛ لأن في الهند كل شي ء متوافر فيها الخشب وغيره، وجلسوا في صراع مع تلك الأمواج العاتية على طريقة التشريقة والردة المعروفة بين الملاحين - أي السير بالسفينة في طريق معاكسة- حتى تفادوا تلك العاصفة بعد عدة أيام ووصلوا إلى بومباي، وقد انكسر عليهم السكان فقاموا بصيانته بواسطة المعلم فرج سنقل بن ربيد.[1]

سفره إلى الكويت وعمله في ميناء الشعيبة:

وبعد تلك الأسفار الشاقة وفي عام ١٩٦٧م سافر الربان عبدالكريم إلى دولة الكويت للعمل بها، وبتاريخ ١١/ ٨/ ١٩٦٨م تحصل على عمل في المؤسسة العامة للموانئ الكويتية وبالتحديد في

١) مرجع المعلومات مقابلة شخصية مع المترجم له الربان عبدالكريم سالم الكسادي، في بيته بمدينة الديس الشرقية بتاريخ يوم الثلاثاء ٨ ربيع الأول ١٤٣٣هـ الموافق ٣١ يناير ٢٠١٢م.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

إدارة العمليات البحرية بميناء الشعيبة النفطي، وعمل فيها برتبة نوخذة من الدرجة الأولى، وقد أعطيت له إجازة علمية على خبرته البحرية ومكث في ذلك العمل حتى تاريخ ٣٠/ ٦/ ١٩٨٧م، أحيل بعدها للمعاش. ثم عاد إلى مسقط رأسه الديس الشرقية عام ١٩٩٠ أثناء الغزو العراقي للكويت.

وقد حمل العديد من شهادات الخبرة والتقدير من إدارة المؤسسة العامة لمنطقة الشعيبة منها:

١. إجازة نوخذة درجة (أ) من وزارة المواصلات الكويتية، قسم مسح وتسجيل المراكب بتاريخ ٢٧ أغسطس ١٩٨٠م.

٢. شهادة عمل كنوخذة من الإدارة العامة لمنطقة الشعيبة.

٣. شهادة تقديرية من الإدارة العامة، خدمة ١٠ سنوات بتاريخ ١٤/ مايو ١٩٧٩م، بتوقيع مدير الإدارة سليمان خالد الحمد.

٤. شهادة تقديرية بمناسبة خدمة ١٥ سنة بتاريخ ١٤ مايو ١٩٨٤م.

٥. توصية من الإدارة العامة بتاريخ ١١ نوفمبر ١٩٧٤م.[٢]

٢) أرشيف الربان عبدالكريم سالم الكسادي.

وبعد تلك الرحلة الممتعة في حياة الربان عبدالكريم الكسادي والتنقل على متن سفينة حياته البحرية، تعرفنا عن تلك الحياة الملاحية التي عاشها أولئك الآباء بين عباب الأمواج، ونقلوا تلك الخبرة المعرفية إلى مهاجرهم حتى أثنت عليهم الألسن بكل ثناء مستطاب، وما ذاك إلا بما خبروه وتلقوه عن مشايخهم من تواضع وبساطة وحسن تعامل، وربابنا عبدالكريم نموذج من عشرات الربابنة الذين أنجبتهم حضرموت في كل من موانئ بروم والمكلا وروكب والشحر والحامي والديس وغيرها، ولعله يكون آخرهم وجودا بين أظهرنا، فقد تعلم الكثير والكثير من البحر، ذلك المخلوق الذي زامله آباؤه وأجداده منذ مئات السنين، فقد تفنن في علم القياس ووصل إلى رتبة الربان المعلم وجمع بين معارف المتقدمين من قياس النجم القطبي بوساطة البنان، ومعارف المتأخرين من قياس ميلان الشمس بوساطة آلة الكمال (السكستان)، وقد تعلم ذلك من شيوخه الذين تحلَّق بين أيديهم متلقيا عنهم تلك المعارف، والذين سافر برفقتهم وأعجب بعلمهم وتواضعهم من

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

أمثال خاله النوخذة محمد عمر الكسادي والربان الفلكي محمد عبدالله باعباد والنوخذة شيخ بن محمد باعباد وغيرهم.

فجدير بأن يكرم مثل هذه القامات الملاحية التي لم تنل حظها من التكريم؛ أسوة بإخوانهم النواخذة في دول الخليج، وذلك لما قدموه من خدمة إنسانية نبيلة في سبيل إبقاء التواصل الحضاري الاجتماعي بين موانئ شبه الجزيرة العربية والمحيط الهندي أجمع.

ومما يؤسف أن نرى الباحثين الغربيين يتهافتون على ذلك التراث الملاحي الثري الذي خلفه لنا الأجداد، ونحن قابعون في صمتنا نتغنى بتلك الأمجاد التي لم نفها حقها يوما حتى بتكريم روادها.

نأمل أن نكون قد وفقنا فيما كتبناه من تلك اللمحات اليسيرة عن حياة ربباننا الكريم الشيخ عبدالكريم بن سالم الكسادي الذي انتقل إلى رحمة الله في مسقط رأسه مدينة الديس الشرقية بتاريخ يوم الثلاثاء ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٤٣٨هـ الموافق ٢١ مارس ٢٠١٧م .. رحمه الله رحمة الأبرار.

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010081702225

المحتويات

- تصدير ٥
- مقدمة ٧
- أولاً: الشيخ المعلم الحكم سليمان بن أحمد المحمدي المهري الحضرمي . ٩
- ثانياً: الشيخ المعلم سعيد بن سالم بن عبدالشيخ باطايع ٢٠
- ثالثاً: الربان العبقري الشيخ عوض بن أحمد بن عروة ٣١
- رابعاً: الربّان الفلكي السيّد محمد بن عوض عيديد ٣٩
- خامساً: النوخذة الربّان السيّد عمر بن علوي بن حسن عيديد ٤٥
- سادساً: النوخذة الربّان مبارك بن عبيد مباركوت ٥٤
- سابعاً: الناخوذتان سالم حبيشان وسالم بالليل ٦٤

أولاً: النوخذة سالم بن عبدالله حبيشان ٦٤

ثانيًا: النوخذة سالم بن عوض بالليل ٦٦

- ثامنًا: الربَّان المعلَّم الشيخ محمد بن عبدالله باعباد ٦٩
- تاسعاً: الربّان الشاعر أحمد بن سعيد باهيال ٧٩

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +200100817022

- عاشرًا وحادي عشر: الربانان أحمد عوض عيديد وعوض مبارك الكلالي..٨٦
  - أولًا: الربّان المعلم أحمد بن عوض بن محمد عيديد ٨٦
  - ثانيًا: النوخذة عوض بن مبارك الكلالي ٨٨
- الثاني عشر والثالث عشر: الربّانان المعلمان زين عيديد وأحمد باعباد ... ٩١
  - أولًا: الربان السيد زين بن عبدالله عيديد ٩١
  - ثانيًا: الربان الشيخ أحمد بن محمد باعباد ٩٤
- سطور من حياة الربّان عبدالكريم سالم الكسادي من أواخر ربابنة حضرموت. ٩٧
- المحتويات ١١٤

للنسخة الورقية زر WWW.DARALWEFAQ.NET أو كلم +20010008170225

هذا الكتاب:

في إطار الأهداف العامة لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر التي من أبرزها توثيق ذاكرة حضرموت والتعريف بحضارتها حرصنا في المركز على تنويع نشاطاتنا وفعالياتنا العلمية، من ذلك أننا أولينا عناية خاصة بتوثيق حياة الشخصيات الحضرمية الفاعلة في مجتمعها وتتبع سيرالأعلام منهم.

وصاحب هذا الكتاب من القلائل الذي ركزوا في أبحاثهم ودراساتهم المنشورة على الملاحة البحرية وربابنتها الذين شقوا البحار واخترقوا عباب المحيطات بخبراتهم التقليدية ومعارفهم المتوارثة وهو يعد امتدادا علميا لأستاذه المؤرخ عبد الرحمن عبدالكريم الملاحي (رحمه الله) ولعله من محاسن الصدف أن تكون باكورة هذه السلسلة في حضرة الربابنة والنواخيذ لننطلق بعدهم على سفينة المعرفة بحثا عن مناقب الحضارمة في مشوار هذه السفينة الطويل والميمون بإذن الله نحو بر الأمان.

● مركز حضرموت للدراسات
التاريخية والتوثيق والنشر

9762020252

دار الوفاق الحديثة للنشر والتوزيع
واتس آب: 2001008170225+